الفصل الثالث
في رحاب الأسر

أن تكون أسيرا في أحد السجون الصهيونية، يعني أن تكون على أهبة الاستعداد بشكل دائم، لمواجهة إدارة السجن، وبطشها. فإدارة السجون لن تدعك تهنأ حتى لو طبقت كل الأوامر التي تفرضها عليك، لأن هدفها ببساطة تنغيص حياتك حتى داخل الأسر، إلى أن تعلن استسلامك، وتتخلى عن مواقفك الوطنية، وتتبرأ من تاريخك الوطني ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

إدارة السجون حتى وإن بدا لك أنها تطبق قرارات عليا بسجنك إلا أنها تضعك باستمرار تحت المراقبة، حتى إذا رأت أن الوضع مستقر وأن الأسرى يعيشون حياة أسر مستقرة، سرعان ما تبدأ بحملات التنكيل والبطش والتي تتمثل:

- حملة تنقلات واسعة للأسرى بين السجون، وما يترتب على ذلك من نقل للأمتعة والحاجيات الخاصة والتي غالبا ما تصادر لدى دخول السجن الجديد تحت مبررات فحصها مع أنها آتية من سجن آخر.
- تحاول الإدارة سحب بعض المنجزات التي حققها الأسرى، مثلا تعمل على تنقيص فترة الفورة بالساحة، مما يدفع بالأسرى للقيام بتحركات مواجهة قد يضطرون من أجلها الإضراب عن الطعام، بما يحملة الإضرات من مخاطر على الأسرى.
- حملات تفتيش تحت مبررات البحث عن مواد ممنوعة، مما يضع الأسرى في حالة تأهب قصوى، وتحول راحتهم إلى قلق دائم.
- تغيير في برنامج الأكل، أو التلفزيون، أو منع إدخال الكتب لفترة طويلة، أو تأخير الرسائل... الخ

باختصار لديها الكثير مما يمكنها أن تنغص حياة الأسرى به، وليس أمامهم إلا المواجهة الدائمة، ليس ليوم أو سنة، بل طيلة فترة الأسر الطويلة.

إن هدف الإدارة المركزي أن يبقى الأسرى مشغولين بقضاياهم الحياتية اليومية العادية حتى لا ينعمون بالراحة، ولا يفكرون في مطالب جديدة، حياتية أو سياسية.

في سجن كفار يونا عام 1978

كنا نسجن في داخل الغرف طيلة اليوم ولا يسمح لنا بالخروج إلا ساعة أو ساعة ونصف يوميا إلى الساحة المحاطة بالأسوار، ويعلوها سياج من الشبك الحديدي. لم يكن السجن للأسرى فقط، بل كان مفتوحا للجنائيين، من يهود،

وعرب من سكان القدس وفلسطين عام 1948. كنا في حينه في غرفة كبيرة واحدة في الطابق العلوي وكانت بجانبنا غرفة أخرى للفلسطينين غير الاسرى.

كانت غرفتنا تتسع لحوالي عشرة، لكن كان فيها أكثر من عشرين أسيرا، أذكر منهم نظمي الجعبة، وبسام الصالحي، ومحمد الفروخ، ونمر الرشق، ومطيع الرشق. وراتب عبيدات وراسم عبيدات، كان في مردوان القسم تلفزيون للأسرى المدنيين ولم يكن بإمكاننا مشاهدته لأننا في داخل الغرفة طوال الوقت.

كنا نصحو على صوت السجان يصرخ سْفيراه، ويقصد العدد، وكان علينا بالتالي أن نستيقظ لنقف عند عدنا، نبدأ بعد ذلك باستخدام المرحاض وتنظيف الأسنان، وغسل الوجه وتحضير أنفسنا للفطور فلم يكن الفطور في هذا السجن في الغرف، بل في غرفة الأكل الموجودة في زاوية الساحة في الطابق الأرضي. الفطور كان بيضة واحدة وعدة حبات زيتون، ومربى، وأحيانا قطعة مرجرينا مع 4 قطع من الخبز لم تكن تكفي للأسير لولا أنهم كانوا يقدمون معها في الصباح ما يسمى حلاوة سميد وبالعبرية دَيْسَا، وكان أغلبنا يأخذ حصته من الديسا في صحن ويضع عليها بعض السكر، أو المربى ويتركها لوقت آخر من النهار ليأكلها.

كانت الديسا تقدم يوميا ما عدا يوم السبت.

بعد ذلك نعود للغرفة، يقوم كل منا بالدراسة أو القراءة، بعضنا كان يعود للنوم حتى موعد العد الثاني قبل الغذاء، حيث يتم عدنا قبل كل وجبة.

الخروج للساحة يختلف فأحيانا يتم في الصباح، وأحيانا أخرى بعد الظهر، كنا نخرج إلى الساحة كل قسم لوحده فلم نكن نخرج مع السجناء اليهود لكن كنا نلتقي ببعضهم من العاملين في الساحة أو المطبخ.

بعد الغذاء كانت الفوضى تدب في الغرفة، فقد كانت غرفتنا غرفة للموقوفين، وعادة يعم غرف الموقوفين بعض الفوضى، وذلك بسبب غياب الانضباط لدى الأسرى الجدد، وبسبب قلة الكتب والصحف وما شابه ذلك.

كنا نلعب الشطرنج كثيرا حتى ساعة متأخرة من الليل.

قبل العشاء كان يتم عد السجناء مرة أخرى ثم ننزل للعشاء، العشاء والغذاء كانا حسب جدول محدد ومعروف سلفا، ونادرا ما كان يتغير. ولولا وجود صحن الحساء أو الخضار مع الأكل لما كان الأكل يكفي لسد رمق الأسرى.

كنا نأكل الدجاج مرة واحدة، وأحيانا مرتين في الأسبوع الواحد. أما اللحم " لحمة الخروف مثلا " فلم نكن نراها، أما لحم البقر فهو يشبه المطاط، ويحتاج الواحد منا إلى منشار لتقطيعه. رغم ذلك فقد كان " اللحم المطاطي " يُقدم مرة واحدة في الأسبوع.

المطبخ كان يعمل فيه الجنائيون، ولذا كان الأكل سيئا، وغير كاف، فقد كان السجناء اليهود يسرقون قسما كبيرا منه ليبيعوه في غرفهم لمن يريد، كما كانوا يزيدون مخصصات السجناء اليهود على حساب الأسرى والسجناء العرب.

معظم السجانين كانوا من الدروز، وكانوا أشد عنفا معنا من السجانين اليهود، ربما لكي يثبتوا أنهم مخلصون للدولة، وربما لأن إدارة السجن تطلب منهم ذلك كي ترسل لنا رسالة مفادها أن اليهود أحن عليكم من الدروز المحسوبين عليكم. وقد يكون شعورنا بعنف السجانين الدروز ناجمًا عن رغبتنا في أن نراهم في صفنا لا في صف القمع الصهيوني.

بعد العشاء نستريح قليلا لنهيئ أنفسنا لأغنية أم كلثوم، وللحديث في أمور عامة وسياسية، أحيانا كنا نُجري بين نزلاء الغرفة مسابقة ثقافية. بعد ذلك تبدأ جلسات ثقافية خاصة بين أعضاء كل اتجاه سياسي، وفي العاشرة يأتي السجان، ويطفئ النور على الجميع من زر خارج الغرفة.

كان الأسرى أحيانا يشربون الشاي في الليل، أما طريقه إعداده فيصعب تصديقها.

كنا نطلب الماء الساخن من العامل في المردوان، وكان للأسرى دائما موظف من غرفتنا يأتي لنا بالماء الساخن، يضعه في الكأس لتحضير الشاي، أو القهوة التي نشتريها من كانتين السجن. لكن بعد التاسعة كان كل العمال يعودون إلى غرفهم، وعندها ليس باستطاعتنا الحصول على ماء ساخن.

ما العمل؟

كان بعضنا يأتي بقطعة خشب نحصل عليها من المطبخ. أو من رجل كرسي، نثبت على كل طرف منها ملعقة، نثبتها من منتصفها ونترك نصف الملعقة الباقي بارزا، ونأتي بسلك كهربائي ونلفه حول الملعقتين وقطعة الخشب ونترك قسما منه بارزا. الجولة الثانية كانت أن نرفع لامبة الإنارة من مكانها وقد كانت لحسن حظنا على جانب الحائط وليس في منتصف الغرفة، وتقع مباشرة فوق الباب من الداخل.

يقوم أحدنا بمد أول سلك الكهرباء مكان لامبة الإنارة مباشرة على السلك الداخلي، بينما يضع الملعقتين في إبريق الماء العادي، أما الجولة الأخرى

فتقوم على أساس أن يحمل الإبريق أسير يجلس على السرير العلوي القريب من الباب ليكون قريبا من مكان الكهرباء، وبالتالي يكون مستعدا لو جاء سجان بشكل مفاجئ، لأن يتصرف بسرعة ويخفي الإبريق.

وعلى أسير منا يكون نحيف اليد أن يمد يده من بين قضبان باب الحديد ليدير زر الإنارة من الخارج القريب من الباب، ليوصل الطاقة الكهربائية، لكن هنا تكمن المشكلة، فقبل أن يدير الأسير زر الكهرباء عليه أن يتأكد أن السجان لا يراقبه، وكيف له أن يعرف والسجان ليس أمامه، وإنما يجلس إلى يمين الغرفة يبعد عنها عدة أمتار ربما عشرة. هنا كانت مهمة أحد الأسرى أن يأتي بمرآة صغيرة كنا نستخدمها أثناء الحلاقة ليصوبها من الداخل بشكل غير ملفت للنظر، ليرى كيف يجلس السجان ويراقب حركته حتى يتأكد أن وجهه بالاتجاه الآخر، حينها يخرج الأسير الآخر يده، ويدير قرص إنارة الكهرباء بسرعة.

لحظات يغلى الماء، فنقوم بنفس الطريقة بإعادة كل شيء إلى مكانه.

أحيانا كان السجان يدخل القسم ليراقب حركة الغرف، فكنا نتظاهر بالهدوء حتى ينصرف، لأنه عادة إن لم نكن نياما يدير القرص ليرى إن كان ثمة شيء مشبوه.

المشكلة كانت عندما يأتي السجان فجأة قبل أن نعيد القرص إلى مكانه الصحيح ويحاول إضاءته، حينها سيتعرض أحد الأسرى للعقاب بالنقل إلى الزنزانة لمدة قد تصل الشهر.

كل نزلاء الغرفة تقريبا كانوا يشاركون في التحضير لكأس الشاي، فهل تعرفون كم يكون طعمه لذيذا بعد هذا العناء الكبير؟

علاقتنا في هذا السجن كانت جيدة، ولم تكن تفرقنا الخلافات السياسية، ربما لأننا كنا أسرى جدد لم يحملوا في أذهانهم العصبية الحزبية بعد.

في سجن الرملة الجديد للموقوفين
مسحوا أرض الزنازين بملابسنا

في أواخر عام 1978 تم افتتاح سجن جديد، في الرملة سمي فيما بعد بسجن نيتسان، فقررت إدارة السجون نقل الأسرى الموقوفين من سجن كفار يونا إلى سجن الرملة الجديد. كما نقلت الكثير من السجناء اليهود، فقد كان الحديث يدور عن تحويل سجن كفار يونا للمحكومين فقط.

كنت واحدا من الذين نقلوا إلى هناك، وقد كان حظي في القسم الأسفل وهو عبارة عن زنازين ثنائية، كل غرفة أو زنزانة تضم سريرا مزدوجا (أعلى وأسفل) لسجينين فقط، صغيرة الحجم فيها الحمام بدون غطاء وفي الغرفة شباك صغير في الأعلى يطل على مباني السجن الأخرى، وكانت الأبواب تختلف عن سجن كفار يونا، فكلها مصنوعة من حديد صاج، ولا يوجد أي منفذ فيه سوى شباك صغير في قسمه العلوي، تكاد ترى منه من يقف بجانب الباب.

الغرفة كانت متسخة فعلى ما يبدو لم يجر تنظيفها بعد " طراشتها " ودهان أبوابها، ولم يكن سجناء كفار يونا سواء الأسرى أو السجناء الجنائيون قد تعودوا على تلك الغرف الصغيرة، والأبواب المغلقة، فبدأ السجناء الجنائيون بالصراخ والطرق على الأبواب بشدة حتى كادت الأبواب تتحطم.
كنت في الغرفة أنا وفلسطيني آخر أظن أن اسمه كان محمد عطية من فلسطينيي الداخل.

جلسنا أنا وإياه نتحدث حتى هدأ الطرق فجأة، لم نعرف سبب التوقف لكن سمعنا من أحاديث السجناء اليهود فيما بينهم أن إدارة السجن دخلت القسم، فوقفت مع محمد نحاول أن نستكشف من خلال الشباك الصغير ماذا هناك، لكن عبثا حاولنا، لأن شبابيك الغرف مقابلة لبعضها البعض وغرف السجانين في وسط القسم ونحن في نهايته تقريبا.

فجأة وبينما نحن نحاول أن نرى أو نسمع وقف في باب غرفتنا مدير السجن ومجموعة من معاونيه، وبعض الممرضين، كنا نعرفهم من لباسهم المميز باللون الأخضر بدلا من اللون الأبيض.

فتحوا الباب علينا وسألونا، لماذا كنتم تطرقون على الأبواب؟
قال لهم محمد بالعبرية التي يجيدها أننا لم نقرع الباب أبدا، وفعلا لم نطرقه، إذ لو أردنا الطرق على الأبواب فلا يكون ذلك إلا بعد التشاور مع الاسرى الآخرين، وليس بعمل فردي، إذ لم يمر على وجودنا في السجن سوى ساعات فقط.

لكن أحد السجانين الذي لم نره من قبل، ادعى علينا أننا كنا نقرع الباب، إذ يبدو أنه يريد كبش فداء لكل تلك الضجة، فآثر أن يكون العرب وليس اليهود، فحرك المدير رأسه، وإذا باللكمات تنهال علينا من كل صوب.
مفاجأتنا الكبرى كانت أن الممرضين هم من بدأوا بالضرب على وجوهنا فنزفنا الدم، ولم يكن أمامنا سوى صد اللكمات ما أمكن، أمام هذا الكم من

السجانين، وأخيرا وقعنا على الأرض، فجرونا إلى الزنازين الجديدة والوسخة إذ لا زالت عليها بقايا الطراشة، والدهان مثل الغرف نفسها، فمسحوها بثيابنا وكنا أنا ومحمد عطية أول ضيفين في تلك الزنازين الجديدة. سألناهم أن يأتوا بمواد طبية توقف النزيف لكنهم لم يسمعوا كلامنا وأغلقوا الباب علينا بعد أن شتمونا، فبقينا ننزف ولم نجد سوى ملابسنا لنخلعها ونجفف بها الدم ليتوقف عن النزيف.
نظر كل منا إلى الآخر، ليرى آثار اللكمات على وجه رفيقه، ثم نظرنا إلى الأرض لنرى كيف يسير دم كل منا سريعا على الأرض حتى التقيا فجأة في آخر الزنزانة، نظرت إليه فعرف ما أقصد، قمعونا فتوحدت دماؤنا.

حكموا علينا بالبقاء فيها أسبوعين، ولكنهم أعادونا لغرفتنا، بعد عدة أيام. فهم يعرفون تماما أنهم كذبوا علينا.
في هذا القسم كانوا يحضرون الأكل لنا بالغرف لكل سجين صينية عليها حصته، ولأنه كان سجنا جديدا فقد كان الخروج للساحة غير منتظم لفترة طويلة.

أما الأقسام الأخرى العلوية فقد كنت نزيلا فيها عام 1983 وكانت أفضل كثيرا. الغرفة تتسع لثلاثة أو أربعة أسرة مزدوجة، وشباكها واسع وبالتالي تدخلها أشعة الشمس بشكل جيد، وهناك مساحة واسعة في الغرفة للحركة، في كل غرفة طاولة للكتابة أو اللعب وعدة كراسي، وفي داخلها حمام له باب وفيه دوش ومغسلة، ويصله الماء الساخن طوال النهار، فهو سجن للجنائيين اليهود، وليس للأسرى، ولم يكن آنذاك في كل الأقسام سوى عشرين إلى أربعين سجينا من سكان القدس الشرقية، وفلسطينيي الداخل. مساوئه كانت أنه في كل حمام يوجد فتحة صغيرة تطل على الساحة الداخلية للقسم لكي يراقب السجان المناوب منها إن كانت هناك أية أعمال مشبوهة داخل الحمام.

فالجنائيون اليهود كانوا مثلا يتعاطون الحشيش في السجن، ويمارسون اللواط فيما بينهم، إضافة إلى إمكانية استخدام الحمام لضرب سجين آخر إلخ.

الأكل في الأقسام المذكورة كان في غرفة موجودة خصيصا لذلك في كل قسم. وكانت تستخدم الغرفة بالليل للتلفزيون، الذي لم نكن نشاهده كثيرا لأنه كان آنذاك يبث فقط القناة العبرية.

يوم الجمعة كانت إدارة السجن تسمح بمشاهدة الفلم العربي الذي كان يعرضه التلفزيون الإسرائيلي، وكان يحضره العرب واليهود، ومن لا يرد الحضور عليه الالتزام في غرفته وعدم الخروج منها.

لم يكن الأكل مختلفا عن سجن كفار يونا، فما يسمى بالديسا كانت فطورنا الأساسي. لم نكن في ذلك السجن نواجه إدارة السجن فقط، ولكن كنا نواجه الجنائيين اليهود، ففي هذا السجن لم يفصلونا في غرف مستقلة، بل وزعونا على كل أقسام الجنائيين الذين يكنون لنا الكره، ويحاولون إن استطاعوا الاعتداء علينا بتحريض من الإدارة للتحرش بنا، ورغم أننا أقلية بالسجن فقد استطعنا أن نحافظ على قوتنا، في معظم الوقت، كانوا يحرصون على عدم تدخل الإدارة في شؤونهم، ويكرهون من يتعاون معها من بين صفوفهم، فيضربونه بقسوة، وأحيانا بآلة حادة، ويسمونه (ملشان)، لذلك كانوا يحرصون على عدم التحرش بنا لمعرفتهم أننا لا نتعاون مع الإدارة بل إن الإدارة عدونا الأول.

في سجن الرملة الكبير

في العام 1978 لم تكن أوضاع السجون جيدة خصوصا في عسقلان وفي الرملة، فقد حدثت بعض المشاكل بين التيار الإسلامي، الذي انتمى فيما بعد إلى المنظمات الإسلامية، وبين فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، الصراع كان بسبب رغبة التيار الإسلامي في عدم الالتزام بقوانين المنظمات التي سجنوا باسمها، ورفضهم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني.

كانت القوى الفصائلية ترى أن عدم التزام هؤلاء الأشخاص بقرارات منظمة التحرير وعدم التزامهم بقرارات قيادة السجن يفتح المجال للجواسيس والإدارة ليمتطوا حصانهم ويخلقون حالة من البلبلة بين الأسرى.

حاول الأسرى الوطنيون أن يحلوا الأمر معهم لكنهم كانوا يرفضون ويصرون على أنهم طرف مستقل ليس لهم علاقة بمنظمة التحرير، فحدثت العديد من المشاكل وصلت حد الضرب بالأيدي، تدخلت على أثره الإدارة لتعزل الجماعات المتدينة والتي وصفها الأسرى الفصائليون بالمنفلشين لعدم التزامهم بأي تنظيم. لكن بعض الأسرى كانوا يطلقون عليهم جماعة المتدينين.

لم يطرح هؤلاء الأسرى أنفسهم - في تلك الفترة- كتيار أو حزب جديد، لكنهم طرحوا أنفسهم كتيار إسلامي لا يؤمن بمنظمة التحرير ممثلاً شرعيًا ووحيدًا للشعب الفلسطيني، ويعتبرون أن الوقت لم يحن للجهاد ضد إسرائيل، وكانوا في مواقفهم من منظمة التحرير الفلسطينية أكثر تشددا حتى من حماس اليوم.

حدة الصراع انتقلت إلى الشارع في الخارج، ورغم قلة التأييد الجماهيري للتيار المتدين في السجون لكن الخلافات المذكورة أساءت للجميع وساهم الجميع في تأزيمها وعدم العمل على حلها بما يعزز الوحدة الوطنية.

في هذا الوضع دخلت سجن الرملة للمحكومين، وكان هذا السجن يتكون من عدة أقسام مخصصة للسجناء الجنائيين وليس للأسرى، ولكن إدارة السجون كانت تقسم الأسرى إلى 3 أقسام:

- أسرى الداخل والقدس وكانت تسجنهم في سجن الرملة
- أسرى الضفة وكانت تسجنهم في سجون الضفة وبعض سجون إسرائيل
- أسرى غزة وكانت تسجنهم في سجن غزة وبعض سجون إسرائيل.

لم تكن إدارة السجون تنقل سجينا من القدس مثلا إلى سجن غزة، ولا سجينا من الضفة إلى غزة أو العكس.

سجن الرملة للموقوفين كان يختلف عن السجون الأخرى، فقد كان سجنا شروط سجنه أخف كثيرا من سجون مثل عسقلان أو نفحة فيما بعد إلخ فالغرف كانت مفتوحة خلال النهار لساعات طويلة إما للنزول للساحة، أو على الأقل للتحرك في القسم بين الغرف، فقد كانت أقسامه وخصوصا قسم لكللي، كبيرة وكذلك غرفه لكنه كان مزدحما رغم ذلك، وهناك أسرى ينامون على الأرض لعدم وجود أسرة فارغة.

التقيت في السجن بالسجين اليهودي المعروف عودي أديب الذي كان حينها يعتبر نفسه يهوديا فلسطينيا، وكان يسكن مع الأسرى الفلسطينيين في غرفهم، فهو الذي اعتقل مع المجموعة الحمراء التي اتهمتها إسرائيل بالتجسس لصالح سوريا، فحكم عليه بالسجن لمدة 17 عاما، عودي أديب ذكره الرئيس الراحل ياسر عرفات عندما ألقى خطابه عام 1974 في الأمم المتحدة، وكان معنا في نفس الغرفة اليهودي حسكل، من مجموعة عودي أديب، وأسير تركي نسيت اسمه، وبسام السائح ابن الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطني السابق، والصحفي القبرصي الذي اتهمته إسرائيل بتصوير منشآت عسكرية وتزويدها لمنظمة الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وأسرى آخرون.

وكان معظم من نعرفهم في القسم الآخر لم نرهم حتى فترة لاحقة، مثل عمر القاسم، ويعقوب عودة، وهاني العيساوي وغيرهم.

كانت طريقة اتصالنا بهم عن طريق بعض الأسرى العاملين في المطبخ.

الأكل في هذا السجن كان يتم في غرفة الأكل في القسم السفلي، لكن طريقة الأكل هنا تختلف، بسبب قوانين السجناء اليهود الجنائيين فالطاولات المخصصة للأكل، مقسمة بين السجناء وكل سجين يجلس في مكان يعرفه، وما على السجين الجديد إلا أن يأكل على الطاولة الأخيرة، أو يجلس على طاولة يعرف الذين يأكلون عليها.

مرة في الأسبوع كانت إدارة السجن تعرض فيلما، و غالبا ما يكون أجنبيا على شاشة محمولة في ساحة السجن. وعلى كل سجين يريد أن يحضر الفيلم أن يحضر بطانياته ليجلس عليها في الساحة، فلم يمكن هناك كراسي أو مقاعد مخصصة للجلوس. وعلى غرار طريقة الأكل، فكل سجين له مكان خاص يجلس فيه، فلا يصح أن يجلس في الصف الأول سجين من الصف الثالث.

في سجن بئر السبع

هذا السجن كان يتكون عام 1983 من قسمين كبيرين وكل قسم يتكون من عدد من الأقسام الفرعية، أحدهما للجنائيين والآخر للأسرى، القسم الأول فقد كان يتكون من أربعة أقسام كل قسمين متشابهان، قسمان في طابقين أرضي وعلوي فوقه تماما وقسم من الجهة الأولى والثاني من الثانية، فكنا إذا نزلنا إلى الساحة من القسم العلوي نلتقي بالساكنين على الجهة التي تطل على الساحة من القسمين ولم نكن نلتقي بالقسم الآخر أو بالساكنين في القسمين المذكورين على الجهة الأخرى.

القسمان الأوسطان كانا عبارة عن زنازين أو غرف لسرير مزدوج لأسيرين فقط والحمام فيه مكشوف، أما القسمان الآخران فكان في كل منهما 8 أسرى (4 أسرة مزدوجة والحمام مكشوف أيضا، وقد ناضل الأسرى طويلا حتى أجبروا الإدارة بوضع ستارة بين الحمام وبقية الزنزانة.

أوقات الفورة كانت في السجن ساعتان ونصف، منها ساعة ونصف في الصباح وساعة في المساء أو العكس.

كان الأسرى فيها حريصين على لعب الرياضة والمشي فقد كانت الساحة في هذا السجن أكبر من السجون الأخرى وربما الأكبر على الإطلاق. وكان الكثير منا يقضي الوقت على الشبابيك التي تطل على الساحات الأخرى للحديث معهم، والنقاش بقضايا ثقافية وفكرية وسياسية.

في هذا السجن التقينا بأسرى من ذوي الأحكام الكبيرة الذين أفرج عنهم من نفس السجن خلال وجودنا هناك عام 1984 وقسم آخر أفرج عنه لاحقا عام 1985.

أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الصديق خالد الزبدة (لا أدري في بلد يعيش الآن)، وأتذكر محمد حسين زهران (أبو الحكم) من مناطق الجيب أو القبيبة، هاتف بلال من العراق، ومحمود العبيدي، وعوني الوعري من القدس، شكري عليان، نبيل أبو سرية، خالد أبو غوش، محمود أبو النصر، علي الشامي، أبو الغاز، أبو شيخة، فضل طهبوب، عوني أبو غوش، حاتم أيوب. وأذكر الأسير اللبناني إبراهيم- (نسيت اسمه الأخير)، فقد كان هذا الأسير من أمهر اللاعبين في كرة الطائرة، حيث كان يقفز إلى الأعلى ويضرب الكرة بيده فلا يستطيع أحد أن يردها. ولا أنس علي جدة، ومسلم الدودة اللذين كانا ممثلي الأسرى أمام الإدارة، بمعنى آخر سفيرانا أمام العدو. فإدارة السجن تتصل بنا عن طريقهما، ونحن ننقل مطالبنا إليهما عن طريقهما أيضا. أفرج عنهما بتبادل الأسرى عام 1985 لكن الموت خطف مسلم الدودة من أهله وشعبه في 28 أيلول سبتمبر عام 2001.

كان في السجن مكتبة، لكنها ليست كبيرة، وكانت إدارة السجن تمنع إدخال الكتب السياسية، أو التي تتحدث عن القضية الفلسطينية، وحتى الكتب الأدبية القيمة كانت تمنعها، ونادرا ما تسمح بإدخالها. فالإدارة لم تكن معنية بأن يثقف الأسرى أنفسهم وكثيرا ما كانت تصادر الكتب عقابًا لهم لعدة أيام، فتبدأ بعدها بالمساومات لإعادتها، وأحيانا كانت تصادر بعض الكتب التي سمحت بها سابقا ولا تعيدها بتاتا تحت مبرر ضياعها.

لم يكن الاستماع إلى الراديو مسموحا في حينه، اللهم إلا الإذاعة الإسرائيلية، ولعدة ساعات فقط، لذلك كان في كل قسم مسؤولون عن الأخبار يقرأون من أحد الغرف على مسمع من الأسرى في القسم المحدد تلك الأخبار التي تصلهم من قسم الأخبار. فقد كان الأسرى عن طريق الجنائيين اليهود يهربون الراديوات الترانزستور، ويسجلون الأخبار على الورق، ويقرأونها على القسم، ويتم ذلك مساء بعد العشاء بساعتين أي حوالي الساعة الثامنة مساء.
بعد ذلك كان الهدوء يخيم على القسم، حيث يذهب كل منا للقراءة، ونادرا ما كانت تتم اجتماعات في ذلك القسم ليلا، لأن كل غرفة فيها اثنان فقط لا غير.

كنا في القسم المذكور أحيانا نلعب الشطرنج مع نزلاء الغرفة أو الزنزانة المقابلة، فقد كانت أبواب القسم المذكور عبارة عن قضبان حديد يستطيع الأسير من خلالها أن يرى الغرف التي أمامه.

فكان كل أسير في الغرفة يضع أمامه خارج الباب لوحة شطرنج وعليها القطع، ويفعل الأسير المقابل له على غراره ، وكان اللعب يتم طبعا شفاهًا، بحيث يقول كل عضو لصديقه ما هي القطعة التي سيحركها ورقم البلاطة، فيحرك نفس السامع القطعة على طاولته ....ويبدأ باللعب.

التفتيش كان بشكل أسبوعي في ذلك السجن بحثا عن الراديو والرسائل المهربة، فقد كان أهم ما تريده الإدارة هو من أين تأتيهم كل تلك الأخبار؟

غرفة الزيارة في بئر السبع كانت كبيرة لكن ذلك كان سيئا لأن كثرة الزائرين والأسرى يجعل الغرفة مزعجة من كثرة الأصوات فلا يستطيع الأسير سماع زواره، لكنها كانت متنفسنا الوحيد للاتصال بالعالم الخارجي.

يوم الزيارة يوم عيد نلبس أفضل ما عندنا، ويحلق الذقن من لا يربيها، ونستحم، أما إن لم يأت أحد لزيارة أسير ما، فسوف يكون ذلك سببًا لأن يظل مكتئبا ذاك النهار.

فعدم الزيارة مشكلة، ليس لأن الأسير حرم من رؤية أحبائه، بل لأنه لا يعرف لم غابوا ، فيبدأ بالتساؤل والتشكك.

الأكل في هذا السجن وفي تلك السنة كان أفضل من سجون أخرى سمعت عنها، وربما يعود ذلك بشكل أساسي لأن الاسرى كانوا يعملون في المطبخ الخاص بالسجن. لكن الأكل هنا كان يتم في الغرف، وليس في غرفة خاصة للأكل كما هو حال سجن الرملة.
كان كل أسير يُعطى صينية وفيها الأكل، ثم يتم جمعها لاحقا.
في صيف 1983 كانت الحسبة في بئر السبع كل يوم جمعة ترسل بقايا الخضراوات الزائدة للسجن، وكانت إدارة السجن توزع قسما منها على الأسرى، والبقية على الجنائيين، فكان أحيانا يأتينا الكثير من الخوخ والتفاح إلخ، لم نكن نعرف مصدر هذا الكرم الحاتمي، حتى عرفنا لاحقا بأن حسبة بئر السبع كانت مضطرة للتخلص منه، لأنها تغلق أبوابها منذ منتصف يوم الجمعة حتى يوم الأحد. حيث ستأتي الفواكه الجديدة، وعندها فمن يشتري القديمة؟ لذا كانوا يرسلونها للسجن للتخلص منها.

كان المشرفون من الأسرى يقسمون كل شيء بالتساوي فمثلا يقدمون لكل أسير كأسا من القهوة أما القهوة الزائدة فكانوا يبدأون بتقديم كأسا زيادة لكل أسير حتى تنتهي فيسجلون أين انتهوا ثم يبدأون بالزيادة من عنده في المرة التالية وهكذا.

كنت لا اشرب القهوة لذلك كان صديق لي أسير يحب شرب القهوة سعيد بكأس زيادة على قهوته كل صباح، حتى وجهني أحد الأسرى الأصدقاء أن أتوقف عن ذلك حتى لا يكون ذلك مبررا للشللية والتكلات، فكان قرار المشرفين، كل من لا يشرب القهوة لا يأخذها، وكل من لا يأكل شيئا أو يشرب شيئا لا يأخذه فيذهب لمن بعده وهكذا، وبذلك تتوفر شروط حياة مشاركة للجميع.

برنامجنا اليومي كان يختلف بعض الشيء بين كل قسم وآخر، وخصوصا بين القسمين اللذين يحتويان على الغرف المزدوجة، وبقية الأقسام، ففي قسم الغرف المزدوجة كنا نستغل أحيانا وقت الفورة، وهي مهمة للسجين لكي نجتمع ونتناقش في حين كان الوضع في الغرف الأكبر حجما أفضل بكثير.

كانت تحرص الإدارة في السجن أن ترتبنا في الغرف حسب إرادتها، وعندما كان ممثل الأسرى يطالبها بنقل أسير من غرفة إلى غرفة فقد كانت تتمنع، وتهدد بعقاب الأسرى، إلا أن الأسرى رفضوا الإذعان لمطالبها، فقررنا فرض الواقع الجديد عليها لذا اتخذت اللجنة المسؤولة عن الأسرى قرارا بأن يقوم كل أسير بالانتقال من غرفته إلى غرفة أخرى حددتها له، عندما تفتح الأبواب للخروج إلى الفورة، وبالفعل فلم يبق أي أسير في القسم في مكانه فاتخذت الإدارة إجراءات عقابية لكنها لم تستطع أن تفعل شيئا ضد كل الأسرى (المذنبين) فقررت منعهم من العديد من الأمور مثل الخروج للساحة. لكنها عادت وتراجعت بعد أن تم حل المسألة مع الإدارة على أساس أن يقرر الأسرى مكان النقل ويعلمون الإدارة قبل تنفيذ النقل لتسجيلهم في أماكنهم الجديدة.

الانتقال إلى القسم الآخر

في أواخر عام 1983 قررت الإدارة أن تغير الأقسام ونقلنا إلى القسم الآخر مكان الجنائيين ونقل الجنائيين مكاننا، وقد تم النقل خلال يوم واحد وكانت عملية معقدة لأنها تعني نقل كل حوائجنا من ملابس وغيارات وأدوات أخرى ونقل ما نخفيه عادة عن إدارة السجن.

القسم الجديد كانت أقسامه الفرعية تشبه الأقسام القديمة إلا قسما واحدا كان يتكون من أربع غرف كبيرة يتسع كل واحد منها ل 36 سريرا مزدوجا، أي 72 أسيرا، ولم يكن في الغرفة سوى 3 مراحيض. الغرفة كانت تضم عدة شبابيك عالية لا تستطيع رؤية ما خلفها إلا إذا وقف أحدنا على السرير

العلوي، وكان باب الغرفة من الحديد الصاج، لكنه دائما مفتوح لأن الإدارة كانت تعتمد على باب آخر داخلي كبير على شكل قضبان من حديد.
رغم الازدحام في تلك الغرفة إلا أنها كانت أفضل بالنسبة لنا من الغرف الصغيرة، ففي داخل الغرفة كنا نعقد اجتماعاتنا الثقافية أو السياسية أو احتفالاتنا الوطنية، ونترك فترة الفورة للرياضة والتمتع بالشمس والهواء النقي.

وطالما جلسنا جميعا لنغني معا:

جانا وجانا يابا جانا
الجيش على الدار جانا
ولا تخافي يا يما
ولا تكوني زعلانة
ولا تكوني زعلانة

تذكري يوم أجا الجيش
بنص الليل أخذوني
لا خلوني أودعكم
ساعة الاعتقال حانا

وصلبوني والليل طويل
وحطوا براسي كيس طويل
وجابوا لي شرطي هبيل
يحرسني بالزنزانة

وقالوا لي وقف في الحال
وهجموا علي هالأنذال
وقالوا لي إن كنت رجال
تحمل ضرب عصانا .... الخ

أبو جمال مراغة يستشهد في بئر السبع

كان أبو جمال مراغة مريضا منذ إضراب سجن نفحة الشهير عام 1980، وقد نجا بأعجوبة في حينه، وعندما أجرى له طبيب سجن الرملة أنذاك العملية الجراحية قال له بلهجة التحدي: لن أتركك تموت الآن، ثم سأله هل تدري لماذا؟
فلم يجبه أبو جمال

فأكمل قائلا: حتى لا يصنعوا منك بطلا قوميا.

لم يمت في حينه لكنه استشهد بعد ثلاث سنوات تقريبا.
أخذته الإدارة من الغرفة وهو في حالة سيئة بعد مشادات ومطالبات عديدة ولكنها بدل أن تأخذه للمستشفى تركته في عيادة السجن حتى مات ثم نقلته للمستشفى لتعلن وفاته.

قالوا لنا كذبا أنه توفي في المستشفى.

صدمنا لاستشهاده، وبكينا، فما أصعب أن يستشهد رفيق دربك خلف القضبان ويتركك وحدك تقاسي الآلام وتبكي على فقده، لحظات صعبة تركت بصماتها وما زالت، فوداع الأسر يترك في القلب أسى فكيف عندما يستشهد بطل قاسى معك آلام السجن وعذابه، يموت دون أن يكون لك حق إلقاء النظرة الأخيرة عليه، يستشهد ويدفن دون أن يكون لنا حق دفنه أو المشاركة في جنازته، إنه ظلم السجان، وقيد السجان، حرمنا من وداعه بعد قتله لكنه لم يستطع منعنا من تأبينه في السجن كله، أعدنا وجبة الغذاء محملين الإدارة قتله.

أقمنا له احتفالا كبيرا في كل الغرف، في غرفتنا كان معنا رفاق دربه محمود العبيدي، وعوني الوعري، فكان احتفالنا كبيرا ألقينا الكلمات وعددنا مناقبة وأنشدنا الكثير من الأناشيد وألقينا القصائد .

كنا نأكل في الغرفة بشكل جماعي على الأرض وبعد كل وجبة كنا نقوم بغسل الأرض وتنظيفها مما تناثر من الأكل هنا أو هناك. التنظيف كان بالتناوب، ورغم ذلك كان يشارك كثيرون تطوعا، وكان مسؤولونا أكثر المتطوعين ليغرسوا في نفوس الآخرين حب التطوع والعمل من أجل المصلحة العامة.

أكثر ما يدعو للتذكر في تلك الغرف هو فترة ما بعد العشاء
حيث يسمح للجميع باللعب أو المشي بالغرفة ولأن عددنا 72 أسيرا، فقد كنا متفقين على أن يكون المشي في وسط الغرفة حيث الأسرة على الجانبين وأن يكون باتجاه واحد .
في الساعة السادسة والنصف كانت أم كلثوم تغني ونحن نمشي بشكل بيضاوي كأننا نتمشى على شط حيفا أو غزة، نتسامر ونتناقش، كنا نسير اثنين اثنين لننظم السير والمساحة، بينما صوت أم كلثوم يخرج من مكبر الصوت، كان كثيرون منا لا يحبون شرب الشاي إلا عندما تبدأ الست غناءها،

فقد كانت تثير في بعضهم الشجن والآلام، وتذكرهم بالأهل والأصحاب والناس. أليس من حقهم أن يحلموا؟

كان لكل غرفة ممثل رسمي، سلطته تبدأ بالليل، أما في النهار فالاتصال مع السجان في كل أمر كان من مسؤولية ممثل القسم كله، كان ممثل قسمنا الأسير أبو مهادي من حركة فتح، أما ممثلا الأسرى كلهم فكان علي جدة والراحل مسلم الدودة.

تعرض الأسرى في سجن بئر السبع إلى إجراءات قمع كثيرة حيث قامت الإدارة في إحداها في مطلع الثمانينات برشهم بالغاز المسيل للدموع وكان شديدا وصعبا حتى أن بعض الأسرى كانوا يضعون رؤوسهم في الحمام بعيدا عن الغاز وقد أصيب الكثير منهم بأمراض مزمنه بالرئة من جراء ذلك.

برع بعض الأسرى في هذا السجن بصنع الأشكال الفنية، لإرسالها لأهاليهم خارج القضبان، بعضها بواسطة علب معجون الأسنان، لصناعة البراويز وأشكال هندسية، وبعضها بواسطة الحجارة الصغيرة التي نلتقطها من ساحة السجن، وبعضها بواسطة بذور الأفوجادو بعد تجفيفها تحت الشمس، أمهر من رأيت في السجن يصنع الأشكال الفنية كان أبو الغاز، من الأردن كان محكوما بالسجن 30 سنة، أفرجوا عنه بتبادل الأسرى عام 1985، فقد كان ينحت الأحجار ويصنع منها أشكالا فنية مثل الدروع وما شابه. كان الجميع يتسابقون لحجز دورهم ليقوم بصنع هداياهم، ليرسلوها لأهاليهم مع المفرج عنهم.
حتى وهم خلف القضبان كانوا يفكرون ماذا سيقدمون لمن هم خارجه.

محمد موسى أصابوه بالجنون

كان في السجن أسير من قرية الظاهرية قضاء الخليل، قوي البنية، رياضيًا أشك أن أحدا كان يمكن أن ينزله أرضا مع أن حالته ساءت بعد ذلك، فقد أصبح يتصرف كالمجانين، ويكثر من الذهاب للمستشفى. كان بعض الأسرى يظنون أنه يحاول أن يدعي أنه مجنون ليفرج عنه.

فكان يوشوش بعضهم في أذنه : " يا محمد لن يفرجوا عنك، فكف عما أنت به"، لكنه كان يتصرف بشكل غير طبيعي، أحيانا كان يتكلم معنا كأنه عاقل، وبعد لحظات يتغير كأنه عرف أننا نستمع له جيدا.
كان يمتنع عن الأكل لأيام، ونفشل في إجباره على الأكل، فيخسر كثيرا من وزنه، وفجأة نعود للغرفة من الفورة، فنجد أنه أكل كل ما يجده في غرفتنا من أكل، لم نكن نلومه، لحالته الصحية.

عام 1985 أفرج عنه في عملية تبادل الأسرى، فقلنا : سنرى الآن كيف أخباره، لكنا حزنا عندما عرفنا أنه أدخل مستشفى الأمراض العقلية بعد الإفراج عنه بطلب من أهله لسوء حالته. لقد أخطأ الذين ظنوا أنه يمثل على إدارة السجن، لم يعرفوا أن إدارة السجن هي التي كانت تحقنه بالإبر التي أصابته بالجنون. رحمك الله يا أبا موسى. كنت ضحية إدارة القمع والتنكيل، ومن الصعب أن ينساك من عرفك !.

في سجن نفحة

افتتح عام 1980 وكان الهدف من إنشائه قمع بعض من أسمتهم إسرائيل بقيادة الأسرى في السجون، أو كما وصفهم مدير السجون بالرؤوس الحامية. لذلك كان سجنا صغيرا يتسع لحوالي ثمانين أسيرا فقط، وقد زجت فيه مزيجا من أسرى قياديين من الضفة وغزة، من أصحاب الأحكام العالية، وأضافت لهم بعض الأسرى من سجن الرملة من سكان القدس، حيث كانت إدارة السجون تعتقد أن أسرى سجن الرملة الذين تعودوا على شروط مخففة نسبيا عن السجون الأخرى مثل عسقلان مثلا لن يصمدوا في الواقع الجديد وسوف حسب تخطيطها يحبطون أية محاولات للتصدي لإدارة السجون.

لكنهم خيبوا ظنها، وصمدوا في تصديهم للإدارة وخاضوا جميعا الإضراب عن الطعام بحماس وتحد، وهبت جماهيرنا في فلسطين والخارج تتحرك تضامنا مع أسرانا البواسل.

إدارة السجون التي كانت تخطط لكسر إرادة الأسرى في سجن نفحة ليكونوا عبرة لبقية الأسرى، ولتذلهم، وتقضي على مطالبهم السياسية.

ولأول مرة في تاريخها قامت إدارة السجون بنقل قسم من الأسرى المضربين، كدفعة أولى لقمعهم في سجن آخر، هو سجن الرملة الجديد الذي كانت قد افتتحته عام 1978 حيث كان بانتظارهم وزير الداخلية نفسه، الدكتور الصهيوني يوسف بورغ مع قوة كبيرة من السجانين وحرس الحدود، حيث بدأوا بضرب الأسرى المضربين، وتخييرهم بين فك الإضراب، أو الضرب وعندما كان الأسير يرفض فك الإضراب، فقد كان بعض السجانين يضربونه بالهراوات على كل أنحاء جسمه، ثم يسقونه الحليب الخاص بالمضربين بطريقة بشعة.

حسب المحكمة المركزية الإسرائيلية فقد كان الأسير المضرب مجبر أن يشرب كأسا من الحليب بطرقة البربيج، حيث يتم إدخال البربيج الصغير

والرفيع عبر حلقه للمعدة ثم يتم سكب كأس واحدة من الحليب عبره من خلال فتحته الخارجية المربوطة بمحقن خاص، لكن سفاحي يوسف بورغ في تلك الفترة كانوا يقومون بما يلي: يدخلون البربيج أولا بمؤخرة الأسير، ثم يدخلونه بفمه ويدفعونه إلى معدته بما علق به من وسخ، وبعد وصول البربيج للمعدة يقوم السجان بدفعه بقوه ليتألم الأسير، ويصرخ من الألم، ثم يسقونه الحليب من خلاله وكانوا وهم يسكبون الحليب فيه يسحبونه بسرعة لعل بعض الحليب يدخل في الرئة، فيؤدي لوفاة أحدهم، وبالفعل فقد نزل الحليب في رئة الأسير إسحاق مراغة الذي لم يسلم منها إلا بعملية جراحية فورية، قال له فيها الطبيب المتخصص أنه يعمل جهده لإنقاذه ليس حبا فيه، ولكن حتى لا يجعلوا منه بطلا قوميا.

بعد يومين نقلوا عددا آخر من الأسرى، وجرى معهم ما جرى مع الدفعة الأولى، وكان في الدفعتين لجنة الأسرى القيادية، فحلت محلها الهيئة القيادية الثانية، واستمر الإضراب حتى تم إيقافه بعد أن تعهد مدير السجن بالاستجابة لمعظم مطالب الأسرى.

هكذا انتهى إضراب سجن نفحة الذي استشهد فيه أسيران هما علي الجعفري، وراسم حلاوة. وقد كان أحد أسباب استجابة مديرية السجون، تساقط الشهداء، والحملة الدولية الواسعة تضامنا مع الأسرى البواسل.

بالتدريج بدأت الأمور تتحسن في السجن، عما كانت عليه، فبعد أن كان باب الغرفة مغلقا تماما بالصاج ما عدا شباك صغير 20 سم طول وعرض خلال النهار فقط، فقد اضطرت الإدارة إلى قص القسم العلوي من كل باب، لتحوله إلى قضبان مع بعض الشبك. ثم أضافوا للغرف أسرة حديد بعدما كان الأسرى ينامون على الأرض.

عانى الأسرى كثيرا قبل الإضراب، ليس فقط من شروط السجن الصعبة، بل من الممارسات السادية التي كان يمارسها السجانون بأمر من إدارة السجن، فتغير كل ذلك وتحطم على صخرة صمود أسرانا في إضرابهم الشهير.

في أواسط 1984 قررت إدارة سجن بئر السبع، إغلاقه أمام الأسرى بعد افتتاح سجن جنيد في نابلس ونقلت إليه، مئات الأسرى من بئر السبع، وما تبقى منهم نقلوهم إلى سجن عسقلان، وعدد قليل منهم حوالي الخمسة إلى سجن نفحة.

كان حظي الترحيل إلى سجن نفحة مع علي جدة وآخرين، في نهاية تموز 1984، فبعدما كنت عام 1980 مع آخرين نشارك في النشاطات والتحركات

الجماهيرية للتضامن مع أسرى سجن نفحة ونضالهم الباسل، ها أنا بين جدرانه.
استقبلنا الأسرى هناك ورحبوا بنا كأننا قادمون إلى بيتنا.

الفارق كبير جدا بين نفحة عام 1980 ونفحة 1984، ليس الأمثل لكنه فعلا تم تحقيق إنجازات كبيرة، يكفي أن تعرف عزيزي القارئ أنه أصبح في مقدور أي أسير أن يتنقل من غرفة إلى غرفة خلال النهار، ما عدا فترة العدد، فكان من يريد زيارة صديق له أو يريد المشاركة في جلسة ثقافية في أحد الغرف أن يطلب من السجان فتح الغرفة، فيخرج ويطلب منه فتح الغرفة التي سيزورها فيفتحها السجان له بدون تذمر.
ساعة الرياضة صباحا كانت لا تحسب من الفورة.
الصدام مع الإدارة كان موجودا، وكانت تقوم بحملة تفتيش بين الفترة والأخرى، لكن المشاحنات اليومية مع السجانين المباشرين، كانت تختلف كثيرا عن سنة 1980.

لقد كانت الميزة الأولى التي تميز فيها سجن نفحة خلال تلك الفترة العلاقة الطيبة بين جميع الأسرى من مختلف التنظيمات، فقد اختفت المشاحنات وحلت محلها، علاقات كفاحية ميزت سجن نفحة عن غيره، ربما لصغر السجن، وقلة نزلائه، وربما لوجود طليعة واعية من الأسرى هناك التي تعرف أن العدو الأساسي لها هو إدارة السجون، وللمسيرة الكفاحية التي خاضوها معا في إضرابهم الشهير، والتنكيل والقمع الذي تعرضوا له معا من قبل الوزير الدكتور يوسف بورغ وزبانيته الهمجيين.

كنا كأسرة واحدة، لا أذكر أن أسيرا كان يشكو من أسير غيره. لقد ترك بعض الأسرى هناك في نفسي أثرا كبيرا، وحفروا في ذاكرتي مكانا كبيرا، وتربعوا فيه، فكان من الصعب أن أنساهم حتى لو أردت ذلك.

كيف أنسى عمر القاسم (استشهد عام 1989)، وسليم نسيبه، وعطا القيمري، ومحمد عليان، وعلي جدة، والشيخ فضي أبو حرب (كلهم من القدس)، وعبد العزيز أبو القرايا، ومحمد دهمان، وحسان عليان، وهشام عبد الرازق الذي أصبح بعد تحرره وزيرا للأسرى، والشهيد محمد دوحان، ورأفت النجار، (كلهم من غزة) وراضي الجراعي، من الضفة، وخالد ياسين من مخين البداوي في لبنان، وسمير قنطار من لبنان، ورفيقه السوري أحمد، كان معنا أسير (نسيت اسمه) من العيسوية يلقب بأبو الوليد، كان يحب سماع نجاة الصغيرة، فسميناها أم الوليد نسبة له، كان الأسير علي جدة بعد أن سمح لنا باقتناء الراديو كلما سمع نجاة الصغيرة يصرخ على (أبو الوليد)، أم الوليد في الإذاعة الفلانية.

عمر القاسم كان محبوبا من الجميع، فكان يحرص أن يبني العلاقات الطيبة مع كل أسير، ويحاول أن يتحسس مشاكل الآخرين، ويستمع لها ويتفهما، ويساهم ما أمكن بحلها، فالأسير مجموعة مشاعر وأحاسيس وبحاجة دوما لمن يستمع إليه ويرعاه.

في الأول من نيسان 1985 كان موعد الإفراج عني، وبدل أن ألف على الغرف أودع الأسرى، فقد خرج الجميع إلى الساحة بعد أن طلب ممثل الأسرى من الإدارة ذلك، فوافقت .
خرج كل الأسرى للوداع، كل منهم كان يتمنى لو كان هذا يوم تحرره، وأنا أتمنى لو كانوا قبلي خارج القضبان.
لحظات كنت أحسبها سعيدة، فإذا بها لحظات صعبة، هيهات أن يتحملها الحجر.
هل أوقف دموعي عن الانفجار لتسيل على خدودي لتسقيها بعد أن كادت حرارتي تتجاوز الأربعين؟ ولماذا أخفيها بداخلي، سأدعها تنزل كما تشاء.
في تلك المناسبات، لا يخجل المرء من دموعه، لأنها تزين خدوده، كأنها عقد من الورد يلتف حول عنقه.
كانت الدموع أصدق من كل قول، وأبلغ من أي حديث، وأوفى من كل وعد.

ودعتهم جميعا واحدا واحدا، بعضهم عانقته، وضغطت على أيديهم معاهدا، بعضهم عانقوني أكثر من مرة، مثل الشهيد عمر القاسم الذي ودعني بدمعة، والشهيد محمد دوحان الذي ودعني بابتسامة، لا فرق حينها بين الابتسامة فرحا بالتحرر، وبين الدمعة الممزوجة بالفرح بالتحرر والحزن على وداع رفيق درب، كنت أحسب أنهم يفعلون ذلك لأنهم كانوا يعيشون معي في نفس الغرفة، لكني عرفت بعد سنوات، أن إحساسهم الداخلي، هو الذي دفعهم لذلك، فكأنهما كانا يعرفان أنه سيكون العناق الأخير الذي لن نلتقي بعدها في هذه الدنيا الفانية. ألا يحق لمثلهما أن يحفرا في الذاكرة مكانا يتربعان فيه ويبقيان هناك، دون أن يستطيع الزمن والمسافات أن تمحوه أبدا؟!

إضرابنا عن الطعام

في شهر آذار 1985، وقبل أن أودع أسرى سجن نفحة، قررت لجنة الأسر الإضراب عن الطعام، مطالبين بتحسن شروط الأسرى، والسماح لنا بحيازة أجهزة الراديو الترانزستور الخاص بنا، إضافة لعدد من المطالب منها السماح بحيازة البيجامات، والشراشف.

صدر القرار وتحددت لجنة قيادة الإضراب، وبدأنا الإضراب بعد أن جمعنا كل المواد الغذائية من الغرف.
مر اليوم الأول بسلام، أما اليوم الثاني والثالث فكان من أصعب الأيام، يشعر فيهما المضرب عن الطعام بالجوع الشديد، ويبدأ يحلم بالأكل اللذيذ، كنا نجلس معا كل يوم نتحدث عن أنواع المأكولات التي نشتهيها، لم نكن نفعل ذلك من منطلق الضعف، ولكن من باب التسلية والتندر.

في اليوم الرابع طلب من جميع الذين ينامون في الأسرة العلوية، أن ينزلوا للنوم على الأرض حتى لا يستنفذوا طاقتهم في الصعود والنزول، وكان قد طلب منا كما هي العادة في الإضرابات التوقف عن ممارسة أية أنواع من الرياضة للحفاظ على الطاقة الجسمية لأن المضرب عن الطعام كلما مرت به الأيام يبدأ جسمه يتراخى تدريجيا.
خف ألم الجوع باليوم الرابع والخامس، وقد قال من سبقونا بالإضرابات الطويلة، إن ألم الجوع يبدأ بالهبوط بعد اليوم الثالث، ويبدأ بدلا منه الإرهاق يفتك بالجسم. كان مسموحا للمضرب عن الطعام شرب الماء مع بعض الملح حتى لا تتعفن المعدة وتخرج رائحتها لخارج الجسم. وكنا مجبرين حسب لوائح المضربين في السجون التي أقرتها المحاكم الإسرائيلية، أن يشرب كل أسير كأسا من الحليب يوميا، كانوا يقدمونه لنا كل صباح.

خمسة أيام أمضيناها في الإضراب، وفي اليوم السادس قررت لجنة الإضراب وقفه، لأن إدارة السجن وافقت على الاستجابة لمعظم مطالبنا، ووعدت ببحث مسألة السماح للأسرى بحيازة أجهزة التلفزيون كما هو الحال لدى الجنائيين. وقد حصل الأسرى فيما بعد على أجهزة تلفزيون في كل غرفة. وحصلنا على أجهزة الراديو بنفس الشهر، كما حصلت عليه كل السجون وكل الأسرى.

بعد فك الإضراب طالبت لجنة الإضراب أن تكون وجبتنا الأولى الشوربات فقط، فحسب خبرتهم وتجاربهم، فإن السجين بعد أن يضرب عن الأسر عدة أيام إذا لم يبدأ طعامه بالسوائل فسوف يصاب بالإمساك الشديد والمؤلم.

سجن المعفار

هو مركز للتنقلات، تنقل إليه إدارة السجون السجناء الجنائيين والأسرى المنقولين من سجن إلى سجن، أو من سجن إلى مستشفى الرملة أو العكس، فمن هناك ينقل السجناء إلى السجون الأخرى، وكأنه سجن توزيع مثل بوسطة البريد. كان الأسرى فيه في غرفة خاصة بهم. فيها عشرة أسرة مزدوجة، لكنها كانت دائما فيها عشرة إضافيون ينامون على الأرض.

كانت الغرفة وسخة جدا، وكذلك البطانيات والفرشات، والإضاءة منعدمة، فلولا الضوء الداخلي لم نر شيئا حتى في النهار.
هذه الغرفة لم تكن فقط مركز تنقلات لكنها كانت مركز توزيع الرسائل من السجون إلى السجون.
فالأسير القادم من سجن جنين مثلا كان يحمل رسائل من الأسرى هناك، بعضها حول أمور السجون وبعضها حول قضايا سياسية، وأخرى حول قضايا أمنية وشبهات بحق بعض الجواسيس المشتبه بهم. وعند وصول الأسير للمعفار يقوم بتوزيع هذه الرسائل للأسرى من السجون المعنية.
هذه الرسائل تكون على شكل كبسولات الدواء لكن بشكل مكبر، وعادة تحمل حقنًا (تحاميل)، أو تبلع مثل حبات الدواء. لكن مهما كانت طريق الإدخال فإن إخراجها يكون بطريقة واحدة مقرفة، وعلى الأسير أن يغسلها لتكون جاهزة فيما لو داهمت الغرفة إدارة السجن ليعيدها إلى مكانها بسرعة، فلا يوجد أسير يقبل أن يلقى القبض على رسالة بحوزته، سيكون ذلك عارا عليه وهو لن يرضى به. لكن المشكلة هي أنه في حالة المداهمة لن يتم إدخالها من المؤخرة لعدم وجود الوقت الكافي، فهي مجرد ثوان بسيطة، يضطر الأسير خلالها بسرعة البرق إلى بلعها حتى بدون ماء رغم روائحها النتنة.

مستشفى السجن

يعتبر مستشفى سجن الرملة المستشفى المركزي للسجون الإسرائيلية إلا في الحالات الطارئة، حيث تضطر الإدارة إلى إرسال الأسير إلى أقرب مستشفى، ربما للإعلان الرسمي عن وفاته.

مستشفى سجن الرملة، هو سجن أكثر منه مستشفى، ولا تتوفر فيه الرعاية الصحية الكاملة، كما أن العاملين فيه معظمهم من السجانين والمخابرات الذين يحاولون مساومة بعض الأسرى أحيانا على حياتهم مقابل التجسس على الأسرى الآخرين.

البوسطة

يسميها اليهود البوسطة، وهي سيارة السجون التي تستخدم للتنقل من سجن إلى آخر، أو من السجن إلى المستشفى، أو من السجن إلى المحكمة ... إلخ.

سيارة البوسطة نوعان: الأول الأكثر استخداما هو السيارات الكبيرة وتشبه السيارات التي يستخدمها الأمن المركزي المصري ويسمونها بوكس، والنوع الثاني هي سيارة شرطة عادية من نوع فان مثل سيارة الدودج، لنقل فرد أو فردين مثلا خصوصا إن كانا من أصحاب الأحكام الخفيفة، فلا يرسل في هذه الحالة السيارة الكبيرة.
سجانو البوسطة يختلفون عن سجاني مديرية السجون ولا يتبعون لهم، وهم عبارة عن رجال من حرس الحدود الإسرائيلي، وعادة يكونون شرسين وموجهين للاعتداء على الأسرى.

فإن كان في البوسطة سجناء جنائيون يهود وهم في العادة يكونون أكثر في السجون الداخلية، مثل المسكوبية وبيتاح تكفا والرملة إلخ، فإن رجال البوسطة يحاولون تحريض اليهود على الأسرى، بل يعطونهم الضوء الأخضر للاعتداء عليهم أثناء السفر، بحيث يغلق السائق وجنوده آذانهم لما يحصل، كأنهم لم يسمعوا شيئا، وأحيانا كثيرة عندما يكون الأسرى وحدهم وعددهم قليل، يتم إنزالهم في الطريق والاعتداء عليهم تحت مبررات أنهم يحاولون الهرب.

فمثلا يقف الجنود في مكان مهجور ويعرضون على الأسرى من يحب أن يستخدم الحمام في العراء، فينزل بعض الأسرى ربما المحشورين، فيشير عليهم الجندي إن يذهبوا إلى مكان بعيد لا يراهم أحد، وكأنهم يقولون لهم اهربوا، وبعد أن يبتعدوا يلحقون بهم ويتهمونهم أنهم يحاولون الهرب فيعتدون عليهم.

رجال البوسطة مسلحون بسلاح رشاش وهم عادة أكثر من جندي إضافة للسائق.
أسرى كثيرون تم الاعتداء عليهم، ومنهم من جرحوا، وقدمت شكاوي كثيرة ضد رجال البوسطة، لكنهم لم يرتدعوا حتى تم ردعهم من قبل الأسير محمد أبو النصر في بئر السبع عام 1983.

التحقيق مع جاسوس

المسألة الأمنية في صفوف الأسرى من المسائل المهمة التي تحظى بالأولوية دائما لما لها من تأثير على علاقاتهم الداخلية ومواجهاتهم لإدارة السجون التي تحاول دائما الانقضاض على مكاسب الأسرى، والتنكيل بهم.

إن المواجهة الناجحة لجلادي السجون لن تثمر ما دامت الصفوف الداخلية تعج بالجواسيس، فهي حلقات مترابطة إذا انقطعت إحداها أثرت على الأخرى.

إدارة السجون كما سبق وأشرنا غير معنية بترك الأسرى بحالهم، بل هي تمارس الإرهاب عليهم حتى داخل السجون، وهي معركة يومية متى تراخى فيها الأسرى انقضت الإدارة عليهم كالكلاب المسعورة.

إدارة السجون تحاول باستمرار الزج بالعملاء داخل السجون لتراقب تحركات الاسرى، ولتكون في صورة أية تحركات نضالية يخططون لها مثل الإضراب علن الطعام، ولكي تفرق بينهم وتزرع الفرقة، والمشاكل، وإخيرا فإن هدفها الأكبر هو قتلهم، إن لم يكن جسديا فعلى الأقل وطنيا .
وعندما تعجز الإدارة عن إسقاط بعض النفوس المريضة للتعامل معها لأسباب كثيرة سنأتي على ذكرها، تعمل على اعتقال بعض جواسيسها في الخارج بتهمة أمنية لتزج بهم بين الأسرى.

مهمة الجواسيس في صفوف الأسرى

- نقل المعلومات عن الأسرى كاملة لجهاز المخابرات مثل، ماذا يفعل كل منهم داخل الأسر، معنويات كل منهم، من من الأسرى تدنت معنوياته، من منهم له مشاكل مع تنظيمه، ما هي هوايات كل منهم، موقف كل منهم تجاه إسرائيل، موقفه من الوضع السياسي، هل يتبادلون الرسائل مع السجون الأخرى؟ من يحمل تلك الرسائل، من هو المسؤول التنظيمي في السجن؟ .. إلخ
- إثارة المشاكل بين الأسرى: من خلال افتعال مشاكل بين أسير من تنظيم محدد مثل فتح مثلا، وأسير من حماس أو الجبهة الشعبية إلخ، أو إثارة مشاكل من نمط آخر مثل قيام الجاسوس بمهمة سرقة السجاير من أسير وإتلافها، أو سرقة قداحة الخ مما يجعل الأسير يشك بالأسير الآخر وهكذا تخلق الريبة في نفوس الأسرى ويتهم كل منهم الآخر.
- تحاول الإدارة استغلال القضية الجنسية مثلا بإجبار جواسيسها بالتحرش ببعض الأسرى وإغرائهم بممارسة الجنس معهم بشكل أو بآخر، ويلعب الجواسيس دور المرأة لإسقاط الأسير معهم، وبعد ذلك تحاول الإدارة تهديدهم بالتعامل معها أو كشف ما حصل معهم.
- تحاول الإدارة من خلال جواسيسها أن تبلبل الأسرى بنشر الأخبار الهدامة بينهم التي تهدف إلى كسر معنوياتهم، مثل أن أحدا لا يسأل

عنهم، وأنهم سيموتون في الأسر، وأن الزعيم الفلاني بنى فيلا في غزة أو في بيروت أو غير ذلك.

- تحاول الإدارة من خلال جواسيسها أن تعرقل التحركات النضالية مثل الإضراب عن الطعام حيث تطلب منهم التذمر والادعاء أن الإضراب مجرد جوع ولن يؤدي إلى هدف.
- تحاول من خلال جواسيسها أن تحصل على معلومات من بعض الأسرى عن علاقاتهم خارج القضبان، وعن الأشخاص الذين كانوا يتعاملون معهم ولم يعترفوا عليهم وعن الناس الذين يقدمون لأهاليهم المساعدة للصمود الخ
- ينقل الجواسيس للإدارة أخبار التحقيقات الأمنية التي قد يقوم بها الأسرى ضد بعض الجواسيس الذين انكشف أمرهم، فيعطي الجواسيس الآخرون إشارة للسجانين بوجود تحقيق مع جاسوس لتقدم الإدارة على تخليصه، هذا إن كانت معنية بتخليصه من ورطته.
- وأخيرا فإن مهمة الجواسيس هي بلبلة الأسرى المسؤولين عن الأمن وذلك بتقديم معلومات كاذبة ومضلله تكون الإدارة قد دربتهم عليها. فالمخابرات الإسرائيلية تتفق مع بعض العملاء والجواسيس الخطرين إذا كشفوا أن يعترفوا وفق ما تقرره لهم، بحيث يعترفون عن أنفسهم ويكشفون جاسوسا آخر فعلا يتعامل مع الإدارة ليؤكد لهم صدق اعترافه، ثم يعترف عن أسرى آخرين ليس لهم علاقة بالإدارة ولكن ليوقع بهم، وبالتالي لينهاروا ويكفروا بالثورة والوطن.

وبالفعل لقد أجرى الأسرى تحقيقات مع أشخاص وطنيين لم يرتكبوا ذنبا، لأن جاسوسا اعترف عليهم، لكنهم عادوا وبرأوهم من التهم المنسوبة إليهم، وأعادوا التحقيق مع الجواسيس الذين اعترفوا سابقا ليكتشفوا أن المخابرات الصهيونية هي التي كانت توصيهم بالزج بتلك الأسماء خلال اعترافاتهم.

التحقيق داخل السجون ليس مهمة سهلة، ليس فقط لأنها تحتاج إلى دراية وخبرة يؤدي عدم امتلاكها إلى أخطاء جسيمة، ولكن لأن السلطة الصهيونية تقدم للمحاكمة الأشخاص الذين يقومون بالتحقيق مع الجواسيس، والذين يعاقبونهم، ففي سجن شطة قام بعض الأسرى من أصحاب الأحكام الخفيفة بناء لتوصية من مسؤول في سجن آخر بالتحقيق مع أسير يشتبه بتعامله مع الاحتلال، وبالفعل قاموا بذلك لكن أحدهم أفرط في ضربه دون أن يعترف فمات بين أيديهم، وقامت بناء لذلك إدارة السجون بسجن كل من كان بالغرفة سواء الذين شاركوا أو الذين لم يشاركوا في التحقيق معه، فسجنوا ما بين 25 سنة لأعلاهم و8 سنوات لأقلهم. وهو ما يؤكد أن مسألة التحقيق مسألة بالغة الخطورة وتحتاج لأشخاص واعين

يقومون بها وليس من هب ودب، لأن قتل إنسان بريء خطأ مسألة لها عواقبها الوخيمة وجريمة بحق الأسرى والناس الوطنيين.
الأسرى تعلموا من أخطائهم الصغيرة والكبيرة، واستمدوا تجاربهم عبر كل تلك السنوات وهم كل يوم يراكمون تجارب جديدة، ويحققون انتصارات جزئية على عدوهم اللدود.

لذلك كانت مهمة التحقيق في الغالب مهمة الأسرى أصحاب الأحكام العالية مثل المؤبد، ويكون الجاسوس السجين معصوب العينين أثناء التحقيق معه في معظم الأحيان، ويتم تهديده بأنه لو صرخ واستعان بالسجان فإن شفرات، وسكاكين محددة تكون جاهزة لضربه قبل أن يصل السجان لنجدته. وهو في البداية أصلا يرفض الاستعانة بالسجان، لأنه يريد أن يثبت براءته ليكون في الصف الوطني، وحتى لا يعرف أهله أنه باع الأسرى وباع الوطن.

المسؤولون عن أمن الأسرى يدركون ويفرقون بين جواسيس محترفين، وآخرين غرر بهم فتورطوا وأرادوا التراجع، لكن إدارة السجون كانت تجبرهم على الاستمرار وإلا كشفت أمرهم، هؤلاء المغرر بهم تحاول إدارة الأسرى أن تطمئنهم أن عليهم التخلي عن التجسس والتعرض لعقاب مخفف مقابل الإدلاء بصدق عن كل ما تم معهم، وتعمل على عدم كشفهم لكل الأسرى في محاولة منها لإصلاحهم لكي يكونوا مواطنين عاديين وليسوا جواسيس في خاصرة الوطن، بعض هؤلاء التائبين تطلب منهم لجنة الأمن لدى الأسرى بالتكفير عن ذنبهم بالقيام بمهامات تؤكد صدقهم مثل ضرب أحد السجانين إن تطلب الأمر، وفي سجن معفار الرملة في عام 1984 قام أحد الجواسيس التائبين بالمشاركة بإعدام جاسوس وحكم عليه بالسجن المؤبد. فقد قبل أن يقضي حياته بالسجن على أن يظل جاسوسا يتجسس على شعبه واعتبر ما قام به ضريبة يدفعها لخيانته السابقة.

كيف يكتشف أمر الجواسيس

للجواسيس طرقهم الخاصة حسب توجيهات إدارة السجن في توصيل المعلومات، وللجان الأمن طرقهم أيضا، وكل منهم يطور أساليبه، وقد اكتسبت لجان الأمن الخاصة بالأسرى تجاربها من التحقيقات التي كانت تجريها مع الجواسيس، واعترافاتهم بما قاموا به وما كانت الإدارة تطلبه منهم.
بعض الجواسيس انكشفوا خلال أشهر قليلة قبل أن يتورطوا فيما هو أكبر، وآخرون استمر تجسسهم أكثر من 15 سنة مثل الأسير الجاسوس محمد

أبو وعر الذي كان يرسل تقاريره بالرسائل التي يرسلها للأهل حتى انكشف في سجن جنيد بعد انتقاله من سجن بئر السبع عام 1984.

بعض الأمثلة على بعض الجواسيس

كان أحد الجواسيس مكلفا عندما يمر السجانون عنه أثناء العدد (عد الأسرى) أن يرفع يده اليمنى ويحك أنفه. وعندما تكررت العملية عرف الأسرى أنه يوصل رسالة محددة للإدارة اتفقت معه عليها.

أحد الأسرى كان يدعي أنه مصاب بالقرحة، وحصل من قبل عيادة السجن على وجبة أكل خاص، لكن أحد الأسرى اكتشفه في بعض الأحيان يأكل من الوجبات غير المخصصة له مبررًا ذلك بأنه تشوق لذلك النوع من الأكل. وقد تبين أنه مسجل بأنه مريض ومصاب بالقرحة، وذلك ليتردد بكثرة على العيادة لتقديم المعلومات للممرض الذي هو سجان في نفس الوقت.

بعض الجواسيس كانوا دائمي المشاكل مع الاسرى من فصائل أخرى دون العودة للجان المسؤولة.

شهادات من خلف القضبان

تؤكد همجية الاحتلال ووحشيته

شهادة الأسيرة سمر صبح(1)

أفادت الأسيرة سمر إبراهيم صبح من سكان طولكرم، والأصل من غزة والبالغة من العمر 22 سنة، وهي أسيرة منذ تاريخ 2005/9/29. بعد ثلاثة أشهر من زواجها وكانت حامل في الشهر الثاني.

(قدمت من غزة بتاريخ 2005/5/25 إلى طولكرم بهدف الزواج. وبتاريخ 2005/9/29 داهم الجيش الإسرائيلي منزلنا وأمروا جميع سكان المنزل بالخروج من البيت، وأمروا الرجال بخلع ملابسهم عراة أمام النساء، والأطفال

وأحضروا لهم لباساً أبيض ليرتدوه بدل ملابسهم، وكان الهدف من ذلك إذلال الرجال أمام نسائهم.

أمروني بالوقوف جانباً من بين جميع النساء المتواجدات وأدخلوني على كابينة متحركة كأن يوجد بها كاميرات، وجندي يأمرني بخلع ملابسي، حتى أنه أمرني بخلع ملابسي الداخلية ورفضت طلبه، فهددني بالقتل إذا لم أنصع لأوامره. بعد ذلك أحضروا لي (أفرهول) أبيض وأمروني بلباسه داخل هذه الكبينة بدون أن يسمحوا لي بارتداء الملابس الداخلية. بعد ذلك حققوا معي ميدانياً نصف ساعة، ثم نقلوني إلى معتقل المسكوبية في القدس.

لقد أخذوني بعد أن قيدوا يديّ ورجليّ وعصبوا عينيّ، وكان معي بداخل الجيب مجندة إسرائيلية، وعندما وصلت السيارة إلى سجن المسكوبية قامت المجندات بتفتيشي تفتيشاً عارياً. وقمت بإخبارهن أنني حامل بالشهر الثاني ولم يصدقن، فأخذنني إلى المستشفى للتأكد من صحة أقوالي وعندما تأكدن، أعدت إلى المسكوبية ومباشرة أدخلوني إلى غرفة التحقيق الذي استمر شهرين، وكان عبارة عن جولات تتروح بين 3-4 ساعات يومياً كنت خلالها مقيدة اليدين، والرجلين، وهذه القيود مربوطة في كرسي ثابت بالأرض ومنذ تاريخ 2005/11/10 لغاية 2005/11/15 اشتد الضغط عليّ أثناء التحقيق، وكانت مدة التحقيق تبدأ من الساعة السادسة صباحاً حتى الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، وكل هذا وأنا مشبوحة على الكرسي ولم يأخذوا بعين الاعتبار أني حامل ولم يراعوا وضعي الصحي، كان المحققون يرتاحون ويتناوبون بينما يمنعونني من الراحة بحيث كانوا يمارسون ضغوطاً نفسية كبيرة عليّ .

كان المحققون يهددوني بقصف منزلي، والتهديد بإنزال الجنين من بطني، واعتقال شقيقاتي ووالدتي، وكل ذلك كان مصحوباً بشتائم بذيئة وصراخ وكلمات نابية. أحد أساليب التعذيب النفسي الذي اتبع معي كان إحضار زوجي إلى زنازين المسكوبية. بحيث أمرني المحققون بالنظر من ثقب صغير في باب غرفة التحقيق، وإذا بزوجي معصوب الأعين ومقيد اليدين والقدمين في الغرفة المقابلة. وقد استعملوا معي هذا الأسلوب اكثر من مرة خلال التحقيق، مما أثر على وضعي النفسي كثيراً.

15 محققاً تناوبوا على التحقيق معي، ومن ضمنهم كانت المحققة المعروفة باسم (الكابتن نورا)، وهذه المحققة كانت حسب تبادل الأدوار، الأشد قساوة من بين المحققين.

كان وضع الزنازين في المسكوبية صعبا جداً، فهناك مكيف هواء بارد جداً في الزنزانة، والزنزانة بدون شباك، الرطوبة عالية، الحيطان لونها يميل إلى

السواد، وخشنة الملمس من الصعب الاتكاء عليها ويوجد فتحة في الأرض عبارة عن مرحاض. الضوء خافت ومزعج للنظر، والفراش وسخ جداً وكذلك البطانيات.

شهادة الأسيرة وفاء عدنان أمين القدسي من طولكرم(2)

سكان طولكرم،(29 سنة)، معتقلة منذ تاريخ 2002/4/10 وهي متزوجة وأم لطفلة، ومحكومة 6 سنوات، اعتقلت من المنزل حيث حضرت قوة كبيرة من الجيش الإسرائيلي إلى المكان الذي تسكن فيه، وقام الجيش بإحضار خال الأسيرة كدرع بشري أثناء اعتقالها، وقد أفادت:

(الجيش الإسرائيلي أمر جميع الرجال بالخروج من منازل الحي الذي نسكن فيه وأجبروهم على خلع ملابسهم أمام الجميع وكان يرافق ذلك صراخ وشتائم بذيئة بحق الجميع. بعد ذلك أمروا جميع النساء بالخروج من المنازل وعندما وصلتُ بالقرب منهم انهالوا علي بالضرب المبرح، ولم يكن مع الجيش مجندات ولا إناث. اعتدوا عليّ بالعصي وأعقاب البنادق، بأيديهم وأرجلهم، وتركز الضرب على منطقة الكتف الأيمن ونتيجة الاعتداء تمزقت البلوزة التي كنت أرتديها واصبحت نصف عارية من الأعلى .

لقد عصبوا عينيّ وقيدوني بقيود بلاستيكية مؤلمة، أدخلوني إلى الجيب العسكري وأدخلوا كلبا متوحشا إلى الجيب، فبدأت بالصراخ فأنزلوه . كان معي في السيارة العسكرية عشرة جنود وكانوا طوال الوقت يعتدون عليّ بأعقاب البنادق، ويشتمونني، ونتيجة الضرب الذي تعرضت له أثناء اعتقالي ما زلت أعاني من أوجاع شديدة بالكتف الأيمن وخاصة أيام البرد والشتاء.

بعد ذلك نقلوني إلى الارتباط المدني في طولكرم حيث أمضيت 10 دقائق تعرضت خلالها للضرب المبرح، وكان الجنود يبصقون علي، ويهددوني. وبعد ذلك تم نقلي إلى مركز شرطة نتانيا، ثم إلى معتقل الجلمة.

وفي تحقيق الجلمة فحصني طبيب المعتقل وتبين أنني أعاني من جرح في المعدة. في الأيام الأربعة الاولى كان التحقيق متواصلاً واستقبلني محقق يدعى (سيجال).

شبحوني مدة أربعة أيام مقيدة اليدين والرجلين بالكرسي المثبت بالارض، واحياناً كثيرة يضعونني في غرفة التحقيق دون سؤال، بل يقوم المحققون بالجلوس إلى الكمبيوتر، أي أن التعذيب كان نفسياً بهدف انتزاع اعترافات، أحد المحققين كان يشتمني بأقذر الألفاظ ويقول لي بأني بنت شوارع،

ويحاول استفزازي كي أدلي باعتراف. وأجروا لي خلال التحقيق فحصاً لكشف الكذب حوالي عشر مرات. وسمح لي بالاستحمام بعد 15 يومامن الاعتقال.

الزنازين سيئة للغاية، الحيطان خشنة من الصعب الاتكاء عليها، الفراش وسخ، ويوجد فتحة بالارض لا يفصل شيء بينها وبين مكان النوم والمعاملة قاسية جداً.

أثناء وجودي في الزنازين سلط السجانون عليّ إحدى الجنائيات اليهوديات، التي أحرقتني بعقب سيجارتها بالقرب من عيني مما أدى إلى انتفاخ العين مدة 40 يوماً، وقد تقدمت بشكوى ضدها في المحكمة أمام القاضي ولكن بدون جدوى.

أمضيت سنتين في سجن الرملة، ونقلت بعد ذلك إلى سجن تلموند. الوضع في سجن تلموند صعب للغاية، صراصير وفئران وحشرات تعيش معنا، قبل فترة لسعتني عقرب، وأنا أغط بالنوم وما زلت أعاني من الألم لغاية اليوم.

الشبابيك مغلقة بالصاج والرطوبة عالية والفورة قصيرة، وهي مرة واحدة باليوم. الأكل سيء جداً وأعتاش على مخصصاتي من الكنتينا. والأكل المقدم من الإدارة سيء جداً فأحياناً كثيرة نجد صراصير، وبصاقا او شعرا بالأكل. ويوجد نقص حاد في الأغطية الشتوية.

شهادة الأسيرة أمية الدمج(3)

روت الأسيرة الفلسطينية أمية دمج من سكان مخيم جنين، 27 سنة الأسيرة في سجن التلموند للنساء والمحكومة أربع سنوات تفاصيل عمليات القمع والاعتداء على الأسيرات في سجن التلموند على يد السجانين والسجانات بشكل وحشي... جاء ذلك خلال لقاء محامية نادي الأسير حنان الخطيب مع الأسيرة المذكورة ومع عدد آخر من الأسيرات.

الأسيرة الدمج روت كيف تم الاعتداء عليها وعلى الأسيرات نسرين أبو زينة وعبير ندى وراوية الشيخ موسى وهن مقيدات بالأيدي والأرجل بالضرب المبرح على جميع أنحاء أجسادهن وخاصة على الرأس والظهر والمعدة، وقالت إن السجانين الذين شاركوا في الضرب كانوا يضربون كل أسيرة الواحدة تلو الأخرى بعد أن أزالوا غطاء الرأس، وبعدها تم اقتيادهن لقسم العزل، وغرفة العزل لا تتسع إلا لشخص وأحد فقط...

وأفادت أنهن بقين على الأرض مقيدات الأيدي، وقد قطعت الإدارة التيار الكهربائي والمياه عنهن ولم يتم إحضار الطعام لهن لمدة 24 ساعة.

وفي اليوم التالي دخل السجانون والسجانات إلى غرفة العزل وجرى الاعتداء من جديد عليهن بالعصي، وبالأحذية، وبالأيدي على كل أنحاء أجسامهن إلى درجة أن الأسيرة راوية وقعت على الأرض...

وأشارت أنه في نفس اليوم اقتادوهن إلى المحكمة أمام مدير السجن وأصدروا أحكاما جائرة بحقهن تتمثل بعزلهن بالزنازين لمدة أسبوع، مع منعهن من الزيارة لمدة شهرين، وإلزامهن بدفع غرامة مالية قيمتها حوالي مائة دولار عن كل أسيرة.

أثناء فترة العزل كان السجانون والسجانات يبصقون عليهن ويشتموهن بأقذر الشتائم، لقد جدد العزل أسبوعاً آخر بسبب رفضنا مقابلة مدير السجن وطلبنا الحديث مع ممثلة السجن الأسيرة آمنة منى..

وبسبب طلبنا هذا تم عزل الأسيرة آمنة منى، ونقلها إلى قسم العزل في الرملة...وأشارت إن أيام العزل سيئة جداً من حيث ضيق الغرفة وقذارتها وصدور روائح كريهة تنبعث منها...

شهادة الأسيرة إنعام حجازي(4)

قالت الأسيرة المحررة إنعام حجازي مديرة دائرة المرأة بجمعية الأسرى والمحررين حسام تصف فيه تجربتها في التحقيق عام 1970:

(كنت إحدى نشيطات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ولم أتجاوز السابعة عشرة من عمري، بعض الفتيات ذكرن اسمي اثناء التحقيق معهن في سجون العدو الصهيوني، فعرفت حينها أنني سأعتقل في أي لحظة فأوقفت كل نشاط تنظيمي لي خاصة بعدما شعرت أنني مراقبة. بعد أيام عدة طوق العشرات من جنود الاحتلال منزلنا بالدبابات، واقتحموا البيت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وقاموا بتفتيشه بشكل دقيق ثم قيدوا يدي، وعصبوا عيني بشريط وأخذوني إلى سجن غزة المركزي(السرايا)، وفكوا الشريط عن عيني وأدخلوني إلى إحدى الغرف، ومعي مجندة أخذت كل ما معي من حاجيات، وألبستني ما يشبه ملابس العمليات (أفرهول) من قماش خفيف، ووضعوني

في زنزانة لا يزيد طولها على مترين فيها فرشة على الارض وبطانية، ودلو لقضاء الحاجة وصحن بلاستيك صغير. ولم أكد أجلس حتى جاء الجنود وأعادوا ربط يدي، وعصبوا عيني من جديد وساروا بي خارجا فكنت أتخبط أثناء السير وأمد يدي لكي أتحسس الطريق، خاصة أننا كنا على الدرج والمكان صغير وضيق حتى وصلت إلى غرفة ضيقة بها محقق ومجندتان.

بدأ المحقق حديثه بهدوء وطلب لي قهوة وعرض علي سجائر، ولكنني لا أدخن. وقال لي: بإمكانك أن تعودي إلى بيتك غدا إذا أجبت عن الاسئلة التي أسألها. ولما لم يجد عندي الجواب الذي يريد، بدأ بالشتم بألفاظ بذيئة نابية تخدش الحياء، لم أعتد على سماعها في مجتمعنا الشرقي، ثم شدتني المجندتان عن الكرسي، ووقفت وقام بلطمي، وتغير الأسلوب الهادئ إلى ضرب ولكن لم يكن مبرحا وطلب من المجندتين أن يذهبا بي إلى الممر، ورأيت كيف يتعرض الشباب في السجن للضرب والتعذيب القاسي، وشاهدت شابا علمت بعد ذلك أن اسمه خضر ضاهر يتعرض لأصناف بشعة من التعذيب إذ كانوا يضربونه في كل مكان تقريبا ثم طرحوه أرضا ووضعوا عليه مكتبا حديديا، ثم قاموا برشه بالماء البارد المثلج ونحن في الشتاء في شهر ديسمبر - كانون أول وعندما رأوا أنني تضايقت قالوا لي إذا لم تتجاوبي معنا فعلنا بك كما نفعل به، ولكنني قلت جملة واحدة لم أردد غيرها: لا يوجد عندي شيء أقوله لك.

أحضر لي المحقق بعض البنات كن معنا، فقلت له لم أرهن من قبل. وعندما لم يجد فائدة، أرسلني إلى غرفة ثانية، وبدأ التحقيق من جديد وكانت معنا مجندة ومجند، وأول ما دخلت قال لي: ارفعي رجلك وظللت أكثر من ساعة رافعة رجلي، وقال لي إذا لم تتجاوبي معنا ستظلي واقفة بهذا الشكل طوال الليل، ولكن إذا تكلمت سأعيدك إلى بيتك، وقلت له لماذا تريد أن أعترف بشيء لم افعله؟! وظللت واقفة على رجل واحدة حوالي عشر ساعات ثم جاءت إحدى المجندات وحملتني كرسيا بيد واحدة حوالي عشر ساعات وتكرر ذلك مرات عدة في أيام التحقيق.

منذ أكثر من ثلاثين عاما لا تزال هناك مشاكل في يدي وقدمي ولا استطيع حمل شيء بها جراء التعذيب. وأحيانا يقومون بشبحي وتكون يدي مربوطتين إلى الوراء بشدة.

بعد أن انتهت جولات التحقيق الأولى ووصلت إلى الزنزانة، جاء محقق يطلق على نفسه اسم، أبو موسى، طويل القامة، وشديد العنف معي، وأخذني إلى غرفة وهددني أن يحضر شخصا لاغتصابي، فلم أصدق في بادئ الامر إلى أن أحضر جنديا ضخم الجثة وأخذ يشدني، وحاول تمزيق ملابسي فضربته بهاتف كان على المكتب بكل قوتي عدة مرات على رأسه حتى سال

دمه، فتدخل أبو موسى وأخذ يضربني بشدة وبعنف غير مسبوق، ومكثت 14 ساعة أحمل الكرسي بيد وارفع رجلي. وظل هذا النوع من التحقيق عشرة أيام. وطوال تلك الفترة كنت في زنزانة تحت الأرض مع إحدى الأسيرات،التي اعتقلت في نفس يوم اعتقالي نفسه وكنا نتكلم بالإشارة، خاصة أن خالي كان أسيرا سابقا وعلمني لغة الاشارة داخل السجن وكل أساليب التحقيق.

بعد اسبوعين نقلت من الزنزانة التي كانت تحت الأرض إلى الزنازين في الطابق العلوي، وكان هناك بنات في الزنازين المجاورة والغرفة صغيرة وفيها دلو بدون غطاء لقضاء الحاجة، وفرشتان. كان الأكل يصلنا في نفس الصحن الذي نشرب فيه الماء.

أصبحنا في الزنزانة أربع أسيرات، وكنت حذرة جدا لما نسمعه عن (العملاء) وظننت أننا أنهينا التحقيق، ولكن كان اعتقادي خاطئا إذ جاءني في تلك الفترة محقق جديد يسمي نفسه (مصلح) كان الأسوأ في كل المحققين.

من أول جلسة تحقيق بدأ يستخدم ألفاظا شديدة البذاءة يندى لها الجبين، يخجل منها الشباب فما بالك بفتاة مثلي لم تتجاوز السابعة عشر من عمرها. وقد تمادى كثيرا بعد ذلك في تحقيقه، وأثناء تلك الفترة سمح لي بزيارة محام ثم زيارة الطبيب، الذي كان محققا بلباس طبيب فبدلا من علاجي كان يحقق معي، فانزعجت جدا وشعرت بغضب شديد حتى أنني قلت له: سواء كنت طبيباً أو محققاً فإن أي فلسطيني، أو فلسطينية، سيظل يدافع عن بلده حتى تتحرر.

على أثر ذلك أعادوا التحقيق معي وظل المحقق مصلح يضربني بشدة لما قلته للطبيب، وفي ذلك اليوم أخذ يشد ملابسي، وقال لن أحضر لك أحدا يغتصبك، ولكن أنا من سيغتصبك، وحاول تمزيق ملابسي بشكل جدي وكان شديد العنف، فأخذت أصرخ بشدة ثم فقدت الوعي فجاءت بعض المجندات وحملنني، وأدخلنني إلى غرفة أخرى، حضر طبيب ليعالجني وظن أنني أمثل فوخزني بإبرة في قدمي، وحينها اكتشف أنني في حالة انهيار عصبي فأعطوني مهدئات ونقلوني إلى غرفة الأسيرات، وظللت غير قادرة على النهوض من الفرشة أكثر من 24 ساعة. وعندما بدأت استيقظ سألنني ماذا جرى معك؟ ملابسك كانت ممزقة فأخبرتهن بما حدث، وبعدها شرحت ذلك للمحامي، الذي نجح في انتزاع قرار من المحكمة بألا يُحقق معي إلا بوجود مجندة إسرائيلية، كما حصل على قرار من المحكمة بتغيير المحقق، فعينوا لي محققا اسمه، شيمش، قام بضربي بشدة واغتاظ فحمل كرسيا حديدياً وضربني به على يدي فانكسرت، فأخذوني إلى طبيب أكد لهم أن يدي بحاجة إلى الجبس لتجبيرها، ولكن لم يفعلوا ذلك. وكان المحقق يضربني على يدي كي تؤلمني أكثر. وفشلت محاولات الأهل والمحامي في إقناعهم

بتجبير يدي، وحاولت أسيرة اسمها فاطمة تدليكها وقامت بربطها، ومع ذلك واصل شيمش أساليبه فكان أحيانا يضرب رأسي في الطاولة وفي الجدار في الجدار، وأحيانا يضربني بالكرسي الحديدي.

نجحنا في تلك الفترة في إدخال أوراق وقلم فأخذت أكتب عن جميع أساليب التحقيق التي تتم معي وبالترتيب حتى أخرجها معي لتستفيد منها الفتيات اللواتي يعملن في النضال، ليستطعن تأهيل أنفسهن والاستعداد النفسي لها وتم تعميمها على كل المناضلين شبابا وشابات، كما كتبت فيها بعض ما حدث مع زميلات لي كن يعذبن بالكي بأعقاب السجائر، أو إطلاق الكلاب عليهن.

أفرجوا عني بعد اعتقال إداري دام 13 شهرا، لكنهم عادوا واعتقلوني بعد ثمانية أشهر لأنني ضربت أحد جنود الاحتلال الصهيوني. فقد جاءت إلى بيتنا قوة من جيش العدو لاعتقال أخي الذي كان قد تزوج قبل خمسة أيام فقط، وأراد أحد الجنود اقتحام غرفة أخي وهو عريس في منتصف الليل، فحاولت منعه فأراد ضربي فلطمته على وجهه واستطعت نزع سلاحه من يده والقيت به من الشباك. ولكن أربعة جنود سيطروا عليّ واعتقلوني بدلا من اخي وعدت إلى السجن نفسه.

شهادة الأسيرة ميرفت طه(5)

تروي ميرفت حادثة اعتقالها، قائلةً:

(عند الساعة الثانية عشرة منتصف ليلة 29 أيار- مايو من العام 2002، اقتحم جنود الاحتلال الإسرائيلي، المدججين بالسلاح، منزلنا الواقع في حي العيسوية، شمال القدس المحتلة، بعد محاصرة الحيّ بالكامل. واقتادوني إلى مركز اعتقال المسكوبية، حيث بقيت فيه ثلاث ساعات، خضعت خلالها لتحقيق أولي كان مخيفاً جداً، ثم اقتادوني مكبلةً إلى زنازين مركز تحقيق الجلمة. وهناك أمضيت اثني عشر يوماً متواصلة، لم أكن أرى خلالها سوى المحققين، الذين لم يكفوا عن توجيه التهديد والوعيد لي طيلة فترة التحقيق.

ظللت أخضع للتحقيق عشر ساعات يومياً، خلال الأيام الثمانية الأولى من الاعتقال. وبعدها جرى تمديد مدة التحقيق باثني عشر يوماً أخرى، تعرضت

خلالها لأبشع أنواع التعذيب، هددوني بالقتل وباعتقال أشقائي وشقيقاتي ووالدي، وتعرضت للضرب المبرح، كما منعت من الالتقاء مع المحامي.

كل هذا كان يحدث ويداي مقيدتان إلى الخلف، وقدماي مربوطتان إلى كرسي مثبت في الأرض، طلبت خلال فترة التحقيق إجراء فحص طبي لمعرفة إذا ما كنت حاملاً أم لا. ولكنهم رفضوا، وكثفوا عمليات الضرب والتعذيب.

بعد انتهاء التحقيق، سمح لي بإجراء الفحص الطبي، وعلمت أنني حامل. وبعد معاناة استمرت عاماً كاملاً، تنقلت خلالها بين عدد من سجون الاحتلال، حكمت محاكم الاحتلال علي بالسجن لمدة أربع سنوات، بحجة المشاركة في مقاومة الاحتلال.

أنجبت طفلي البكر في السجن، فقد جاءني المخاض (الطلق) عند الساعة الثانية عشرة ليلاً، ولم أخبر إدارة السجن حينها، خوفاً من التعرض للعقاب. وعند السادسة من صباح اليوم التالي، الذي لن أنساه مدى حياتي، نقلت إلى مستشفى سجن الرملة مكبلةً بالأغلال، وهناك رأى مولودي الأول وائل نور الحياة عند الساعة السادسة من مساء الثامن من كانون أول - ديسمبر عام 2002

بعد يوم واحد فقط، أعادوني إلى سجن الرملة، حيث ساعدتني بعض الأسيرات في الاعتناء بالطفل.

إدارة السجن لم تكترث بذلك، بل اتسعت مساحة عقوباتها لتشمل حتى الألعاب والهدايا التي قدمتها جمعية الصليب الأحمر الدولية لطفلي ولي عند الولادة.

كنت أخشى إخراج ابني للساحة في الصيف، بسبب ارتفاع درجة الحرارة وغياب المظلات، التي تقي الأسيرات حرّ الصيف، هذا الطقس أثر بشكل مباشر على الطفل، الذي أصبح أكثر عصبيةً وعدوانيةً وبكاءً، وبات يعاني من سوء التغذية، فضلاً عن الإهمال الطبي.

سجن "تلموند"، الذي عشت فيه أشبه بالمقبرة، ولكنه مقبرة للأحياء، شديد البرودة، وتنتشر فيه الرطوبة، فضلاً عن الفئران والصراصير، وغير ذلك من الزواحف والحشرات.

إدارة المعتقل لا تزال تمنع ممثلة الأسيرات من التواصل مع ممثلي الأسرى، وبالتالي فإن الأسيرات يعشن في عالم معزول، كما تمنع الإدارة إدخال اللحوم

إلى الأسيرات إلا في المناسبات والأعياد، ولا تسمح لهن بإدخال مواد التطريز).

شهادة الأسيرة ثروت أحمد سعيد حمدان(6)

أدلت الأسيرة الفلسطينية ثروت أحمد سعيد حمدان من سكان نابلس 27 سنة والمعتقلة منذ تاريخ 2006/4/1 والقابعة في سجن الشارون (تلموند) بشهادة لمحامية نادي الأسير الفلسطيني عن تعرضها لتعذيب قاسٍ ومحاولة التحرش بها وتهديدها بالاغتصاب أثناء اعتقالها والتحقيق معها في مراكز التحقيق الصهيونية بهدف انتزاع اعترافات منها.

(داهمت قوات الجيش المنزل الساعة الرابعة فجراً، وطلبوا من سكانه الخروج، كنت الأنثى الوحيدة، وعندما خرجت طلبوا بطاقة هويتي الشخصية وبعدها قيدوني بالقيود لبلاستيكية، وعصبوا عيني وأخذوني إلى منزل عمتي وهناك اعتقلوا ابنة عمتي وتدعى ختام اشتية. عند الاعتقال لم يكن مع الجيش مجندة، وكان الجنود يستهزئون مني ويقولون لي: أتريدين القيام بعملية عسكرية؟

بعد ذلك نقلونا إلى قرية حوارة وعندما وصلنا فتشوني عارية، كان الجو ماطرا، وأبقونا بالخارج تحت المطر، وكان هناك ثلاث أسيرات أخريات فأصبح عددنا خمسة أسيرات، وكنا نسمع صوت أسرى شباب تم اعتقالهم في نفس الليلة.

كان الجنود يستهزئون بنا ويأمروننا أن تقوم كل صبية بالإمساك بسترة أحد الشباب والركض، وكان هذا تحت المطر، وكانوا يلتقطون صورا بالهواتف الخلوية فقد استطعت أن أرى ذلك من تحت عصبة العينين، وعندما كنا نرفض الركض والانصياع لأوامرهم كانوا يعتدون على الشباب الأسرى، لهذا آثرنا الانصياع للأوامر لنوفر العذاب على الشباب.

كانوا يضحكون علينا، ويصرخون بصوت عالٍ : (اضرب...اضرب) لافزاعنا.

أمضيت أربعة أيام في معتقل حوارة وكانت الليلة الأولى مع الأربع أسيرات الأخريات وأربعة أسرى من بيت فوريك في نفس الغرفة، وفي الصباح أخرجونا واخذوا الشباب وابنة عمتي وأسيرة تدعى آيات من سالم وبقيت أنا وأسيرة من نابلس تدعى رشا في حوارة.

كنت أنا والاسيرة رشا في نفس الغرفة، جاء ضابط كبير في السن يتكلم اللغة العربية، حاول هذا الضابط أن يتحرش بنا من ناحية جنسية وحاول أن يخلع عني الجاكيت فبدأت بالصراخ ومنعته من ذلك..

وعن ظروف الاعتقال في معتقل حوارة، فالفراش قذر ورائحته كريهة، والمرحاض خارجي، وكأن يأخذنا للمرحاض جندي يرافقنا لغاية الباب ويقف خلفه للحراسة، منعونا من الاستحمام مدة أربعة ايام، الأكل كان سيئا للغاية، كانوا يعاقبون إحدانا بالوقوف تحت المطر في الخارج، إذا تحدثت مع رفيقتها بالزنزانة.

بعد ذلك تم نقلي إلى سجن الشارون، عندما وصلت هناك فتشوني عارية على أيدي شرطيات، وبعد شهر نقلوني للتحقيق في بيتح تكفا لمدة أربعة ايام.
امضيت أول يومين في بيتح تكفا في العزل الانفرادي وكان التحقيق يتم معي من الساعة التاسعة صباحاً حتى الساعة الثامنة مساءاً. خلال التحقيق هددني المحققون باعتقال والدي وابنتي وإخوتي. وقاموا بإسماعي صوت ابني على الهاتف. حقق معي أربعة محققين أحدهم كان يجلس أمامي ومحقق يجلس خلفي واثنان على جانبي، وعندما يتكلم معي أحد المحققين وأجيب على سؤاله، كان الآخر يمسكني من شعري ويلف رأسي عليه ويصرخ في وجهي. تم تهديدي بالاغتصاب وبألفاظ نابية تعبر عن همجيتهم.

زنازين بيتح تكفا سيئة جداً، لونها يميل إلى السواد، خشنة الملمس ومن الصعب الاتكاء عليها، يوجد فتحة في الارض عبارة عن مرحاض، ومكيف هواء بارد جدا يعمل طيلة اليوم.

تزوجا داخل السجن وفصلت بينهما القضبان
أروع وأقدس قصة حب في فلسطين
وليد وسناء

إذا أنجبنا ولداً سنسميه ميلاد لأنه سيشهد ميلاد الدولة الفلسطينية(7)

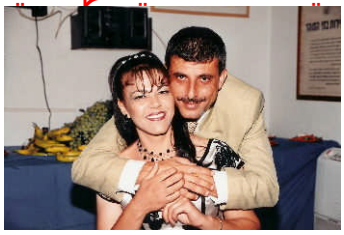

أسرى الحرية، القابعون في زنازين وسجون العدو الصهيوني يواجهون غطرسة الاحتلال الصهيوني البغيض يوميا، بعزيمة قوية يستمدونها من عدالة قضيتنا الفلسطينية، عدالة الشعب الذي شرد معظمه الصهاينة، ودمروا منازله وجرفوا أراضيه الزراعية، وأسروا خيرة أبنائه، وقتلوا عشرات الآلاف منهم دون وازع من ضمير أو أي اعتبار لأدنى حقوق الإنسان حتى تلك التي نادى بها موسى يوما ما في وصاياه العشر.

الأسرى الفلسطينيون والعرب في سجون العدو الصهيوني يسطرون أروع آيات الصمود كل يوم، يقاومون، صامدون، صابرون، يحدوهم الأمل أن يطلق سراحهم يوما ما لأن شعبهم وبعض قادتهم وأمتهم لا زالت تذكرهم. لكنهم كبشر يعيشون مشاعرهم الخاصة التي أهمها أنهم يحلمون بالحرية، يحلمون بالزواج فمعظمهم عزابا، يحلمون باطفال المستقبل، يحلمون بصدر حنون يسندون إليه رؤوسهم . يحلم كل واحد منهم أن يكون له بيت وأولاد وزوجة جميلة وطيبة، يحلم كل منهم ان يقضي بقية عمره بين أهله وذويه .

الأسير وليد دقة

هم يحلمون كما يشاؤون فالحلم هو الشيء الوحيد الذي بقي لهم دون أن يستطيع أحد منعهم من ممارسته، بعدما طال انتظارهم .

في سجن نفحة الصحراوي الذي يقع في وسط صحراء النقب بعيدا عن أي مدينة أو قرية عربية أو إسرائيلية، يقبع أسرى أبطال يواجهون حر الصيف وبشاعة السجان وقسوة القيد، هذا السجن الذي بنته إسرائيل في العام 1979 لتنقل إليه بعد الانتهاء منه الأسرى الذين وصفهم قادة أجهزتها الأمنية بقادة الأسرى، لتعاقبهم حيث كانت ظروف الأسر فيه الأسوا في تاريخ اسرائيل حتى تلك الفترة، مما أجبر الأسرى على خوض إضراب عن الطعام

استمر شهرا كاملا استشهد خلاله البطل علي الجعفري والبطل راسم حلاوة، وفيما بعد البطل إسحاق مراغة.

سجن نفحة الصحراوي رمز المقاومة الفلسطينية الأسيرة ضد الاحتلال يضم الآن في صفوفه أسير أبى إلا أن يتحدى قيود السجن، ويمارس حياته أو بعضا منها كما يحلم بها كي يبرهن للاحتلال ويقول لإدارة السجون العنصرية : إن كنتم تسلبون حريتنا فلن تسلبوا أحلامنا .

الأسير وليد دقة من فلسطين التي احتلت عام 1948 والتي نسيها المفاوضون ووضعوها سلفا خارج طاولة المفاوضات .

وليد دقة وفي غرفة تضم الأسير اللبناني البطل سمير قنطار يمضي فترة أسره هذه الأيام، يتعلم ويكتب ويمارس حياته العادية رغم ظروف الأسر .

سلاحه اليومي المطالعة والرياضة وكتابة الرسائل لزوجته سناء .

وإذا كان الواحد منا يعود آخر النهار ليلتقي بأولاده وبزوجته فان وليد لا يلتقي بزوجته التي تزوجها وهو في الأسر إلا مرة واحدة كل أسبوعين، ولمدة نصف ساعة فقط من وراء القضبان الحديدية، نصف ساعة غير كافية لكنها بالنسبة لأسير تساوي العالم كله.
في هذه الزيارة يبث وليد أشواقه ويعبر عن مشاعره لزوجته سناء التي يحبها ويعشقها كعشق قيس لليلى أو جميل لبثينة .
وإذا كان العرب قديما قد قالوا أعشق من قيس فعليهم الآن أن يضيفوا مثلا جديداً (أعشق من وليد وسناء)، الذين بوفائهما يستحقان ان يضرب فيهما المثل .

زارته في السجن وهو خلف القضبان لتقول له نحن لم ننسك أبدا فرق لها قلبه، وكتم حبه لها لأنه يدرك أنه خلف القضبان لا يستطيع أن يفعل شيئا، وتفجر حبه عشقاً لها وبادلته نفس الحب والمشاعر، حتى عرض عليها الزواج فوافقت وهي تعلم أن خروجه من السجن كحلم جميل في هذا الزمن الرديء.

تعاهدا ان يكملا مسيرة الحياة معا يعاني هو من قيد الأسر وتعاني هي من بطش السجانين عندما تزوره كل أسبوعين .
هو كل حياتها وهو في سجنه، يطل عليها كل ليلة قبل نومه ليقول لها أحبك يا سناء ويطبع على شفتيها قبلة تحمل في طياتها عنفوان الصمود وإرادة التحدي .

تحرص هي قبل نومها أن تطمئنه أن قيد السجان وقيد الاحتلال لن يغيرا من حبها له، بل يزيده حبا وعشقا، وغراما وكأنها تقول للعدو الصهيوني : إن كنتم تنتصرون علينا بأسلحتكم الامريكية الفتاكة، فنحن ننتصر عليكم بحبنا وإيماننا بعدالة قضيتنا وإنسانيتنا العظيمة.

من خلال البريد الألكتروني عبر الإنترنت الذي تستخدمه المخابرات الأمريكية الآن لتتجسس على الناس في كل العالم، التقينا بالأخت سناء غير آبهين بكل أجهزة التنصت والتجسس والمراقبة ودار بيننا هذا الحوار الذي ننقله لكم لكي تقرأوا قصة أكثر زوجين حبا ووفاء وعشقا وتحديا للظلم .

- كيف تعرفت على وليد؟ ومتى كانت البداية ؟؟

- تعرّفت عليه عام 96، كنت أكتب لصحيفة اسمها الصبّار، كانت وما زالت تصدر في يافا، وكانت كتاباتي دائماً تتناول أوضاع الأسرى وشؤونهم، ربما لأن خلفية الأسر، ومعناه كانا متوفرين لديّ لأن والدي كان أسيراً ثلاث مرات لمدة أطولها كانت 4 أعوام مع شقيقه أي عمي، وآخرها كان عام 87 حتى عام 88.

شقيقي اعتقل فترتين قصيرتين جداً عندما كان طفلاً (14 عام - وأذكر أن تهمته الأولى كانت محاولة قتل جواسيس، والثانية تمزيق العلم الإسرائيلي، المهم أنني كنت أستقي أخبار الأسرى من الأستاذ عبد الرحيم عراقي الذي كان وقتها رئيساً لجمعية أنصار السجين، وهو بنفسه كان أسيراً حكم عليه بالسجن المؤبد وقضى منه 17 عاماً وحرّر في عملية تبادل الأسرى عام 1985، وأذكر أن عبد الرحيم اقترح عليّ بأن أستقي أخبار الأسرى من الأسرى أنفسهم، وأعطاني اسم وليد، واسم أسير آخر كي أزورهما.

وفعلاً ذهبت واخترت وليدا وزرته. ما شدني إليه ثقافته الواسعة والطريقة العملية التي يفكر بها ويدير بها شؤونه، وشؤون السجن بالتعاون طبعاً مع

رفاقه الأسرى. كانت أول زيارة له عبارة عن تعارف وسألته يومها إذا كان بحاجة لأي أمر يمكنني أن أوفره له وعلى الفور قال:
- نعم طبعاً أنا بحاجة لكتاب (الحرب والإستراتيجيه) للكاتب الإسرائيلي العسكري يوشفاط أركابي، أحتاجه في دراستي، وطبعاً وفرت له الكتاب وعدت لزيارته بعدها بشهرين وأنا أحمل الكتاب وخلال الشهرين كان قد أرسل لي مع أهله مقالة طلب أن أنشرها له في صحيفة كل العرب، وفعلاً نشرتها وكان موضوعها رأي حول ترشيح عربي لرئاسة الحكومة الإسرائيلية. بعد زيارتي الأولى لوليد بأعوام قال لي بأنه في تلك الزيارة كان قد عرف وقرّر بأنني الإنسانة التي يريدها أن تشاركه حياته .

هكذا أسّس وليد لعلاقة مستقبلية بدأت بأمور عمل، كما ذكرت، واستمرّت وتطوّرت بعدها بنصف عام تقريباً لتأخذ شكلاً وطابعاً آخر مع إستمرار الشكل الأول، العملي الوظيفي، الذي كنت أقوم به بالتعاون معه ومع أسرى آخرين.

آخر إحساس يمكن أن يثيره وليد في الجالس أمامه هو إحساس التعاطف لذا أنا لم أتعاطف معه وإنما كنت (وما زلت) معجبة جداً به وبكل جوانب شخصيته.

- ما الذي أعجبك في وليد في السجن كي تتخذي قرارا بالزواج منه خلف القضبان ؟؟
- وليد من الأسرى المنتجين جداً في السجن، وهذا ما شدني إليه أصلاً من بين الأسرى. عندما تعرّفت عليه وكنت أتحدث معه لم أكن أشعر بأنني أتحدث مع أسير وكان يدهشني دائماً مدى مواكبته لما يحدث في الخارج ومدى إطلاعه الدقيق على مجريات مجتمعه، وشعبه وظروفهم وحالتهم. يحافظ على وتيرة معينة في الكتابة، وتجمعت لدي عشرات المقالات التي كتبها والتي قمت بجمعها ووضعها في دوسية، منها مقالات قديمة ومنها مقالات جديدة، ومقالاته تتسم دائماً بنظرة تحليلة حول الفكرة التي يتناولها المقال لذا فإنني أجد متعة حقيقية في العوده دائماً لمقالاته وأجدها تصلح للنشر حتى بعد أن يكون مضى على كتابتها أعوام طويله.

هو لا يقرأ الكتب وإنما يتناولها كالطعام، وأنا أحافظ دائماً على توفير الكتب له. وليد أيضاً غارق دائماً في أمور السجن المختلفة، وأبداً لا تراه منشغلا بنفسه وبهمومه الداخلية، لذا فهو يتمتع بشعبية عالية لدى كل الفصائل تمكنه من حلحلة مشاكل كثيرة داخل السجن وخارجه، وتأخذ من وقته الشيء الكثير.

وقد تجمعت لديّ أيضاً مادة كثيفة، تحوي ما أصطلحنا على تسميته أنا ووليد (أمور عمل)،كي نفرّقها عن أمور أخرى، أو بشكل أدق رسائل عمل و.. رسائل "خاصة، هذا الملف يحوي بيانات، رسائل إلى مؤسسات حقوقية وأعضاء كنيست، مناشدات، برامج نضالية تخص حياة السجون، وضعت في فترات مختلفة، كلمات كانت تقرأ في مناسبات مختلفة .. إلخ

- هل تزورينه باستمرار ؟؟

- في السابق كنت أزور وليد كل أسبوعين مرة واحده لمدة 45 دقيقة. يفصل بيننا خلالها شبك حديدي. ولكني كنت أتمكن من الإمساك بأصابعه خلال الزيارة. يوم الأحد الماضي 16 أيار 2004 زرته لأول مرّة بعد انقطاع عام تقريباً، لأن السجون كانت بدأت بإضراب عن الزيارات سببه قيام مديرية السجون بوضع زجاج عازل كلياً بين الأسير وأهله بحيث لا تستطيع أن تسلم عليه أو تقبله. زيارتي يوم الأحد تمت بوجود الزجاج العازل لأن السجون أعلنت فك الإضراب مؤقتاً.

أغرب عقد زواج

- السؤال الذي يتبادر للذهن الآن كيف تم زواجكما وهو خلف القضبان ؟؟

- عقد قراننا تم في يوم العاشر من أغسطس ـ آب 1999 وقد قمنا بتقديم طلب لعقد القرآن في السجن مع الطلب في أن يسمحوا لعائلتي المقرّبة وعائلته إضافة لاثنين وعشرين أسيرا ـ من اصدقاء وليد ـ في المشاركة وأيضاً السماح بالتصوير، فيديو وصور عادية، والسماح بسماع موسيقى كأي عقد قرآن عادي. في البداية رفضوا كل طلباتنا، لكنا خضنا معركة ضدهم، وساعدنا الدكتور عزمي بشارة في ذلك. وكان وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي آنذاك والمسؤول عن السجون (شلومو بن عامي) في بداية عمله، بروفيسور قادم من الجامعه ويدّعي آراءاً متنورة وتقدمية!

قلائل هم الذين أدركوا الفكره ..
وأقل منهم من واصلوا حملها ولم يتخلوا عنها ..
وأنت بنظري من هذه القلة في زمننا الصعب .
أتمنى لك ولأسرتك بهذا العيد وافر السعاده
وأرجو أن تقبلي صداقتي المخلصه ، فهذه هديتي
لك بالعيد ، بل هي في الحقيقه ستكون هديتك لي .
وأعدك أن أصونها في حدقات عيوني .
.. كل عام وأنت بألف خير ..

وليد
عسقلان
أواخر أبريل / ٩٧

رسالة الأسير وليد إلى زوجته سناء

كان ذلك قبل أحداث أكتوبر التي استشهد فيها 13 من شبابنا في الداخل. وكان على علاقة طيبة مع عزمي وهذا أدى في أن نحصل على كل ما طلبناه باستثناء السماح لـ 9 أسرى فقط بالمشاركة وليس 22 كما طلب وليد. وفعلاً تم عقد القرآن داخل السجن بحضور الشيخ الذي استغرب الموقف وقال إن هذا أغرب عقد قرآن، يجريه في حياته الطويلة. المهم أن عقد القرآن شكل سابقة في تاريخ الحركة الأسيرة كلها.

كان أسرى سجن عسقلان، حيث عقد القران يجرون احتفالا مقابلا لاحتفالنا داخل غرفهم. كانت لحظات فرح أبكت الكثير من الأسرى (حسب تهانيهم وكتاباتهم التي أرسلوها لي ولوليد فيما بعد).

- كيف كان موقف الأهل وهم يعرفون أن وليد أسير محكوم بالسجن المؤبد ؟

- موقف الأهل كان صعباً وكانت أمي تقول لي دائماً: هل تريدين أن تعيدينني للركض إلى السجون؟ كان الأمر صعباً لكني تلقيت دعم شقيقتي الكبرى سهير والتي كان لها وزنها الكبير في البيت. والدي كان قد توفي قبل أن أتعرّف على وليد، ولو كان موجوداً لكان الأمر أسهل عليّ لأن والدي كان إنساناً منفتحاً جداً، كنا صديقين ربطتنا ببعض علاقة خاصة ومميزة. أيضاً المدة التي مرّت منذ أن تعرّفت على وليد حتى عقد القرآن كانت مدة ليست قصيرة

استطعنا خلالها إقناع من لم يكن مقتنعاً بعد، وكان أجمل عقد قران في التاريخ. والأمر الذي سهل موافقتهم أيضاً هو أنهم أحبوا وليداً حبا جماً.

- هل أنت سعيدة بوجود وليد في حياتك، ومستعدة لانتظاره ؟؟
- أنا كنت ومازلت سعيدة جداً بوجود وليد في حياتي ولست مستعدة لأن أتنازل أو أفرّط بهذه العلاقة حتى لو اضطررت إلى انتظاره العمر كله.

وليد محور حياتي كلها ومعه أشعر ليس فقط بأنني أعيش مشاعر إنسانية من أرقى ما يكون ولكن أشعر أيضاً أنني إنسانة منتجة تعمل لصالح شعبها ولا تقف متفرّجة عليه. بمعنى أن إرتباطي بوليد جعلني مرتبطة برفاقه الأسرى في كل السجون (طبعاً بشكل مختلف)، حيث هم لا يترددّون في أن يتوجهوا إليّ بأي شيء يحتاجونه ويعتقدون أنني أستطيع تقديمه لهم وأنا بدوري سعيدة لما أقدمه لهم وأقدّر عالياً معاناتهم ومعاناة أهلهم التي، كما قال عنها وليد مرّة: (هي معاناة تكفي وحدها لبناء وطن).

- أخت سناء أين وليد الان ؟؟
- منذ أعتقل وليد عام 1986 ميلادية وهو ينتقل بين السجون المختلفة، وهي سياسة متبعة في السجون في ألا يقضي الأسير حكمه كله في مكان واحد. لذا فوليد زار كل سجون البلاد، من شطه شمالاً حتى عسقلان ونفحه وبئر السبع جنوباً. الآن هو موجود في سجن نفحه الصحراوي يقتسم الغرفة مع سمير القنطار ومع أسرى آخرين وأنا كي أزوره أسافر ساعتين ونصف ذهاباً ومثلهما إياباً.

- هل ورد اسم وليد في عمليات تبادل للأسرى ؟؟
- لم يرد إسم وليد في أية عملية تبادل طوال فترة اعتقاله والسبب هو عدم حصول أية عملية تبادل كهذه طوال هذه المدة. فعملية التبادل الكبيره التي نفذها أحمد جبريل كانت عام 85 أي قبل دخول وليد السجن بعام واحد. والعمليات التي تمت مع حزب الله كانت عمليات صغيره جداً تحرر فيها أسرى لبنانيون فقط.

- هل تحاول إدارة السجن ان تمنعك من زيارته ؟؟
- لأنني زوجته فإن إدارة السجن لا تستطيع، قانونياً، أن تمنعني من زيارته.

- هل سمحت لك إدارة السجن بزيارته زيارة خاصة؟؟ (الزيارة الخاصة في سجون العدو الصهيوني يعني زيارة بدون شبك أو قضبان حيث يجلس الأسير مع زواره في غرفة معا).

- زرته زيارات خاصة عدة مرات، وكان ذلك قبل عقد القرآن. فقد كانت الأوضاع في السجون حينذاك مقبولة نوعاً ما. أما اليوم وبتأثير الوضع السياسي القائم، الذي كان الأسرى دوماً هم أول المتأثرين به، فإن الحديث عن زيارة خاصة لوليد مجرّد حلم .

إدارة السجون تراقب الرسائل

- هل تراسلينه في السجن ؟؟
- رسائلنا لبعض تستغرق شهوراً طويلة حتى تصل. لدرجة أن وليداً توقف عن إرسال الرسائل كلياً. لكن مع ذلك لديّ أمل كبير بوصول رسائله التي كان يتحايل فيها على البريد ويخرجها بطرق مختلفة. ورسائله عبارة عن صورة دقيقة لجلساتنا وأحاديثنا مع بعض. يتناول فيها وليد كل المواضيع التي يريدها ولكن بطريقة محسوبة لأن الإداره تفتح الرسائل وتقرأها.

- ماذا عن الإتصال الهاتفي، هل يسمحون له ان يتصل بك ؟؟
- لا يسمح لوليد ولرفاقه الأسرى بالإتصال الهاتفي أبداً،كل ما يخص الاتصال مع الخارج بالنسبة للأسرى السياسيين ممنوع من قبل مديرية السجون . حتى عندما كان والده يعاني سكرات الموت لم يسمحوا له بالحديث معه إلا عندما فقد القدرة على النطق ولم يستطع وليد أن يتحدث معه كما يجب وتوفي والده وما زالوا يرفضون إخراجه لساعتين لزيارة القبر، وقد قدّم استئنافات والتماسات عديدة للمحكمة الإسرائيلية رفضت كلها.

- ماذا يكتب لك وليد ؟؟
- رسائل وليد دائما مليئة بالمشاعر الرقيقة، والشيء الأوضح فيها هو صدقها وحرارتها، وكذلك رسائلي إليه. فوليد بالنسبة لي ليس هو الرجل الذي أحبه فقط وإنما هو أقرب صديق إليّ لذا فحديثنا على الورق وحديثنا مع بعض لا ينتهي أبداً.

- ما الذي تسمح ادارة السجن إدخاله للأسرى داخل السجون ؟؟
- إدخال الملابس إلى السجن يتم بشكل دوري. والإدارة تحدّد لنا بالضبط ما تسمح إدخاله، ابتداءاً من الألوان حتى شكل القميص، أو البلوزة. في آخر زيارة أعادوا معي نصف الأغراض. لكني كنت سعيدة لأني أدخلت له كتباً جديدة. لا أحب أبداً أن ينقطع وليد عن العالم.

- هل تتعرضين لمضايقات من احد بسبب علاقتك بوليد ؟؟

- أنا أعمل سكرتيرة عند محام عربي في الطيره وأيضاً عضو في هيئة إدارة جمعية أنصار السجين، وهي مؤسسة تطوّعية تعمل لرعاية شؤون الأسرى وتهتم بهم، بقدر إمكانياتها (وهي إمكانيات متواضعة جداً) وهي أيضاً مؤسسة عربية مائة في المائة. أنا أيضاً أدرس حالياً موضوع الترجمة. من بداية الفصل الدراسي عندما سألوني سردت الحكاية كلها لأنني لا أحب أن يعرفوا من أحد ما ويظنون أنني أخشى أمر ارتباطي بوليد ولذا لا أفشيه.

أنا جداً واضحة في شرح علاقتي بوليد سواء مع العرب الذين يسألون أو مع اليهود. وأختصر الكلام بعبارة (إن هذه أمور من الصعب شرحها)، ومن يهمني أن يفهم فإنني أفهمه، وليس كلهم كذلك. لا شك بأن اليهود عندما يعرفون ينظرون إليّ بشك وباستغراب ويصنفونني في خانة معينة على الخارطة السياسية إلا أن هذا لا يؤثر على دراستي أو علاقاتي.

- هل منعت من السفر بسبب علاقتك بوليد ؟؟
- وليد كان يريدني أن أذهب في رحلة إلى كندا قبل عامين وقرّرنا أن أسافر إلى أمريكا أيضاً لأزور أخوالي وشقيقي هناك. رفضوا منحي تأشيرة دخول للولايات المتحدة وعندما قدّمت الطلب كانت أسئلتهم كلها تتمحور حول وليد، بدون أن يذكروا لي بأنه أسير، وفي النهاية طلبوا بأن أحضره معي للسفارة ليمنحوني تأشيرة دخول! وكانت النتيجة أنني ألغيت الرحلة كلها.

غير هذه الحادثة لم أمنع من السفر أبداً علماً أنني لا أسافر كثيراً وإنما زرت تركيا ومصر والاردن فقط.

- كم عدد الزوار المسموح زيارتهم لأي أسير ؟؟
- للزيارة مسموح 3 زوار فقط. أنا ووالدة وليد لا نتخلف أبداً عن زيارته والذي يتغير هو العنصر الثالث. أي أشقاؤه وأصدقائه .. إلخ. اليوم منعوا أيضاً زيارة الأصدقاء والأقارب الذين هم قرابة درجة ثانية وما فوق. ومسموح فقط لمن هم قرابة درجة أولى: أي الأبناء الزوجة، الوالد والوالدة فقط.

- هل عندك أمل بتحرير وليد من الأسر ؟؟
- الأمل بتحرّر وليد دائماً قائم ودائماً قوي (وين بدو يروح يعني؟!).

- هل تشعرين بسبب قصور السلطة والعرب بتحرير الأسرى أن وليد ندم على ما قام به ؟؟؟
- وليد غير نادم لما فعله، هو ينظر لنفسه كجزء مرتبط بكل، وهذا الكل هو قضية الشعب الفلسطيني العادلة، التي ما زال يموت لأجلها الشباب والأطفال، والشيوخ والنساء. ربما كان سينظر وقتها للأمر من زاوية مختلفة

تتعلق بخصوصية وضعنا كأقلية قومية تعيش ظروف المواطنة (هنا يمكنك عادل أن تستفيد مما كتبه وليد)

- هل لك ان تزودينا برسالة خاصة من وليد لك لنشرها ؟؟
- سوف أزوّدك برسالتين واحدة قديمة أرسلها لي وليد في بداية تعارفنا وثانية جديدة جداً من قبل شهر فقط (سوف أرسل الرسائل بخطه كما هي عن طريق الإنترنت عندما أرسل صوراً من عقد القران).

- كم رسالة يسمح لوليد شهريا ؟؟
- لا أعرف كم رسالة يسمح له شهرياً أعتقد رسالتين فقط. وبحسب إيقاع وصول الرسائل فيمكنك أن تعتبر بأنه مسموح لوليد إخراج رسالتين كل عام!

- هل يسمح لوليد مشاهدة قنوات الأخبار في السجن ؟؟
- وليد يشاهد كل القنوات الإخبارية الفضائية تقريباً بعد أن خاض الأسرى نضالاً بهذا الشأن. ومع ذلك في سجون مثل هداريم، في مركز البلاد، لا توجد قنوات إخبارية سوى القنوات الإسرائيلية.

- كيف يعيش وليد في السجن الآن ؟؟
- وليد يعيش فقط مع أسرى سياسيين. الأسرى السياسيون بشكل عام مفصولون كلياً عن السجناء الجنائيين.

- ماذا يطالب فلسطينيو 1948 من السلطة ومن العرب ؟؟
- نحن كأهالي أسرى 48 ما زلنا نعتبر السلطة الفلسطينية تملك الأهلية الكاملة لإطلاق سراح أسرانا ونحن لم نعفهم من مسؤوليتهم هذه.

بالنسبة للأمة العربية فكما تعلم نحن كأقلية عربية في فلسطين عام 48 هويتنا عربية فلسطينية، ونعتبر أنفسنا جزءاً من أمتنا العربية، ولذا فنحن نطالب بأن نعامل بالمثل. وقد قلنا هذا الكلام للسيد حسن نصرالله، في رسالة أرسلناها له عبر الإعلام، ودعوناه فيها إلى إدراج قضية أسرانا كواحدة من الأولويات في مفاوضات التبادل لأن إدراجهم في إتفاق التبادل والالتزام بإطلاق سراحهم معنى سياسياً مهماً جداً للمليون ومائتي ألف عربي في الداخل، إنه: نعم أنتم تعتبرون أنفسكم جزءاً من أمتكم العربية ونحن أيضاً نعتبركم كذلك.

وهذا المعنى يكتسب أهمية مضاعفة خاصة في ظل تخلي السلطة الفلسطينية عن أسرى 48. نحن كأهالي أسرى 48 ما زلنا نطالب بتطبيق هذا الأمر فعلياً وعلى أرض الواقع.

أجرى اللقاء الكاتب مباشرة مع السيدة سناء سلامة زوجة الأسير وليد دقة.

الهوامش

1- نجيب فراج، عن نادي الأسير الفلسطيني في شهادة موثقة للمحامية حنأن الخطيب
http://www.falasteen.com/article.php3?id_article=6253&vo=51

2- المصدر السابق

3- نادي الأسير، أيار 2005:
http://www.hrinfo.org/palestine/ppsmo/2005/pr1005.shtml

4- عبد الناصر فروانة، وزارة الأسرى.

5- نادي الأسير الفلسطيني، 15 شباط 2005

6- مجلة فلسطين، 25 أيار 2006
http://www.falasteen.com/article.php3?id_article=7196

7- عادل سالم، حوار أجراه مع سناء سلامة ونشر في فلسطين في الرابع من حزيران 2004